

سلسلة صدى البشرية

اصواتك البعير

كدومة إناس

(الكاتبة نورس)

سلسلة صدى البشرية

الجزء الأول: أصوات البحر

بقلم الكاتبة كدومة إناس ، المعروفة بإسم الكاتبة نورس.

تصميم الغلاف: سلسبيل بوزكري

الطبعة الأولى: 05 جويلية 2026

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة كدومة إناس ©

لا يجوز إعادة طباعة هذا الكتاب أو نسخه أو تخزينه أو نشره بأي وسيلة إلكترونية أو ورقية، كلياً أو جزئياً، دون إذن كتابي مسبق من المؤلفة، باستثناء الاقتباسات القصيرة لأغراض النقد أو المراجعة مع ذكر المصدر

قد يظن البعض أن البحر مجرد ماء مالح وأمواج تتلاطم صعودًا ونزولًا، لكنه أكثر من ذلك... صدى صوته يهمس لنا في الخفاء.

في الليالي الحالكة، يصبح أعمق وأغرب، يخفي أسرارًا وماضٍ قد يكون مظلمًا.

ميساء تقترب من الشاطئ، وكل خطوة منها تُصدر صدى غير مفهوم من البحر، وكل همسة رياح تحذرنا من الاقتراب أكثر.

هل يعرفها البحر حقًا؟ أم أنه يريد التعرف عليها، أم أن له نوايا أخرى، ربما ابتلاعها أو اللعب معها؟

وهنا يطفو السؤال الكبير على سطح كل موجة: ماذا ينتظرها هناك؟

كدومة اناس/الجزائر

الكاتبة نورس

الإهداء الأول :

إلى نفسي التي طالما انكسرت، وكم من مرة تعثرت ونهضت من جديد، ولم تسمح لبقايا الغبار أن تكسرها.

وإلى قلبي، رغم انكساره وسقوطه، لم يتراجع حتى يصنع قصته.

إلى من جعلني اليوم أحول الخوف إلى رواية، والكلمات إلى نضج يرسم ملامح هذه الحكاية.

شكرًا لك... دام لي هذا الإصرار."

الإهداء الثاني :

أهدي روايتي أولاً إلى مدرّبتني وكاتبتي ثراء، التي كانت أكثر من مدرّبة؛ كانت كاتبتي الصغيرة

دعمتني حين تعثرت، وشجعتني، وآمنت بي وبمشروعي رغم أنها لم تعرف تفاصيل قصتي.

أهديك كلماتي وحروفي، ولن أنسى عطائك الثمين الذي جعلني اليوم أكتب بثقة، وأنا على أعتاب نشر روايتي.

كما لا أنسى صديقاتي: صارة المعروفة بـ همسات نمرّة، وخديجة بلجرة، وشيماء، شكراً لكم على دعمكم وإيمانكم بي. لن أنسى جميلكم ما حييت.

لا أنسى أيضاً كل زملائي وزميلاتي في مجال الكتابة، الذين قدّموا لي ملاحظات قيّمة ونصائح ساعدتني في تطوير روايتي، فلکم مني كل الشكر والتقدير.

حفظكم الله من كل شر، ووفقكم الله وسدد خطاكم.

"همسات المدى تهمس لها من بعيد: هل يريد أن يرافقها أم أن يبتلعها؟".

الفصل الأول : "همسات البحر المخفية"

"رحلة ميساء ونداء المدى":

ميساء، فتاة في الخامسة والعشرين، عاشت طفولتها في قرية صغيرة هادئة، لا يسمع فيها سوى هدير الموج وهو يرتطم بالصخور، وصوت المراكب العائدة مثقلة بالشباك عند الغروب.

تلك الحياة البسيطة لم تدم طويلاً؛ فقدت عائلتها في ظروف قاسية، ولم يبقَ لها سوى أختها الصغرى، رفيقة وحدتها وذاكرة وجعها. ومع قلب مثقل بالذكريات، رحلت ميساء عن قريتها لتستقر في منزل قديم يطل مباشرة على البحر، كأنه يراقبها في صمت.

البحر بالنسبة إليها لم يكن مجرد منظر طبيعي... بل كيان غامض ارتبط بدمها وحياتها منذ الطفولة. فهي ابنة صياد أفنى عمره بين أمواجه قبل أن يبتلعه في ليلة عاصفة، تاركًا خلفه صدى لا ينطفئ في قلبها.

ورغم أن ذلك المدى الأزرق أخذ منها أعزّ إنسان، بقيت تشعر بانجذاب لا يُقاوم نحوه؛ حبًا مشوبًا بالخوف، وفضولًا يوشك أن يقودها إلى المجهول.

بالنسبة لميساء... الماء لم يعد وطنها الثاني فقط، بل ربما يكون إمامًا ووطنها... أو مصيرها.

"ورغم كل ما أخذ منها البحر... يبقى السؤال يطاردها: هل سيكون وطنها، أم مقبرتها؟"

وقفت ميساء أمام النافذة في أول ليلة لها بالبيت الجديد، والمدى يمتد أمامها كظلٍ أزلي يراقبها من بعيد.

تذّكرت والدها... ضحكته وهو يرمي الشباك، يديه الخشنتين تمسحان قطرات الماء عن وجهه، ثم صرخاته في تلك الليلة المشئومة حين ابتلعه المدى الأزرق. ذلك المشهد لم يفارقها قط، كأن صوته ما زال عالقًا في جدران قلبها.

أيقظتها همسة أختها الصغرى نور:

- "أختي ميساء... هل أنت هنا؟ لماذا تبكين؟"

أجابت وهي تمسح دموعها سريعاً:

- "أنا بخير، لا تقلقي."

ثم أضافت بصوت متردد:

- "سأنزل إلى البحر بعد قليل."

ارتسمت في عيني نور نظرة خوفٍ عميقٍ ، وقالت برجاء:

- "أرجوك، لا تذهبي... لا تنزلي ليلاً. لا أريد أن أفقدك أنتِ أيضاً"

احتضنتها ميساء برفق، ومررت يدها على كتفها:

- "لا تخافي... أنا ابنة البحر. لن يؤذيني. اطمئني، لن أتأخر."

بعد دقائق، وجدت نفسها تمشي على الرمال الباردة نحو العمق المظلم. المكان خالٍ تماماً، إلا من عجوز يقف عند الشاطئ يتمتم بكلمات غريبة لم تفهمها. تجاهلته، وانزلت إلى الماء.

كانت السباحة في البداية مريحة، لكن فجأة لمحت في الأعماق لوناً أسود باهتاً يتلوى، ورائحة مقززة كأنها جنث سمك متعفن. ثم... دمٌ أحمر يلون الماء أمامها، كأن شيئاً حدث تحت الأمواج!

ارتجف قلبها:

- "لا... لا، هذا وهم... أنا أتخيل فقط."

لكن المشهد نفسه ظهر من جديد، هذه المرة شعرت ببرودة تلتف حول ساقها. يد غريبة خرجت من العمق، قبضت عليها بقوة ومنعتها من الصعود يتبع...

"لمسة البحر الأولى":

شعرت ميساء ببرودةٍ قاسية، وكان البحر تحوّل إلى جليد يلتف حول جسدها. ارتجفت عظامها، وسعلت من شدّة البرد الذي جمد أطرافها، كان قلبها يخفق بعنف، وأنفاسها تتقطع، وصدرها يضيق كأن البحر يريد ابتلاعها بالكامل. حاولت الصراخ، لكن صوتها اختنق وسط الأمواج، وكلما حاولت التحرر، قبضت يد غامضة على ساقها تمنعها من الخروج.

في لحظة خاطفة، انتشلها شخصٌ مجهول، حملها على كتفه ووضعها على قاربٍ مطاطي. أخذ يحاول إنعاشها وإخراج الماء من صدرها، فيما كانت بين الغيبوبة والوعي، ترى ملامحه مشوشة خلف ضبابٍ يثقل عينيها.

سمعتة يسألها بصوتٍ عميق:

– "هل أنت بخير؟"

أرادت أن تجيب، لكن الصدمة عقدت لسانها. لم تستطع سوى أن تسمع تمتماته، وهو يمسح على رأسها ويقرأ كلمات غريبة لم تفهمها.

فجأة، انتفضت ميساء مفزوعة وهي تصرخ:

– "اتركني! من أنت؟!"

أمسك بيدها برفق وقال بهدوء:

– "اهدئي... أنت ما زلت في حالة صدمة. لا تسبحي في الليل حتى تستعيدي قوتك. البحر لا يرحم من يستهين به."

وفي تلك اللحظة، لمحت العجوز ذاته واقفاً على الشاطئ، يحدّق بها بعينين غريبتين، كأنه يعرفها. سمعته يتمم من جديد:

– "هل يمكن أن تكون... هي؟ ابنته؟"

اقتربت منه بارتباك:

– "ماذا تقول يا عم؟ هل أنت بخير؟"

ابتسم ابتسامة غامضة، ضرب الأرض بعصاه، ثم استدار ورحل دون أن يضيف كلمة واحدة.

صعدت ميساء إلى بيتها، لتجد أختها نور تنتظرها عند الباب، وعيناها ممتلئتان بالغضب والقلق. صرخت عليها:

- "ماذا فعلتِ بنفسك؟! لماذا ملابسك ملطخة بالدماء؟ لقد حذرتك! هذا المكان لا يريحني، هيا بنا نرحل ونعود إلى بيتنا القديم!"

لكن ميساء دفعت الباب بقوة، وقالت بعناد:

- "لن أرحل! هذا بيتنا وسنبقى فيه، شئت أم أبيت!"

نظرت إليها نور بذهول:

- "لماذا تصرين؟ ما الذي يربطك بهذا المكان؟"

رفعت ميساء عينيها نحو البحر، وصوتها يتهدج بين التحدي والفضول:

- "لأن هنا سرًا لم يُكشف بعد... شيء يخبئه البحر عنا. وأنا لن أرتاح حتى أكتشفه."

نور، وهي ترتجف:

- "أختي، لا تجنّي! كل ما ترينه أو هام، مجرد خيالات من شدة تعلقك بالبحر."

هزّت ميساء رأسها بيقينٍ غامض:

- "لا يا نور... ليس وهماً. هناك شيء مخفي عنا، وسأكتشفه مهما كلفني الأمر."

"السر المدفون":

في مساء هادئ، خرجت ميساء من منزلها ترافقها أختها الصغرى نور. كانت رائحة البحر تعبق في الأجواء، والأمواج تتماوج بلطفٍ تحت ضوء القمر، كأنها تفتح ذراعها لهما.

نزلا إلى الماء معاً، والبرد يلسع جديهما بخفة، لكنهما كانتا تضحكان كالأطفال. دفعت الأمواج جسديهما تارةً، واحتضنتهما تارةً أخرى، وترش قطرات صغيرة على وجهيهما كأن البحر يلهو معهما.

همست نور مبتسمة:

– "أرأيت يا ميسو؟ البحر يحبنا، إنه يلعب معنا فقط... لا غموض فيه."

لكن ميساء حدقت في المدى المظلم وقالت بجدية:

– "أخبرتك من قبل، هناك شيء غريب يحدث هنا. لماذا في الليل فقط؟ لماذا مرةً يحتضنني ومرةً يحاول ابتلاعي؟"

نظرت إليها نور بدهشة:

– "ماذا تقولين؟ هل فقدت صوابك؟ لا يوجد شيء في البحر سوى الماء والسمك."

ابتسمت ميساء بسخرية خفيفة، ثم تمت:

– "سأكتشف الأمر بنفسي هذه المرة."

ردت نور ضاحكة:

– "ربما لسعتك مجرد قنديل بحر صغير وجعلت الأمر قصة!"

تجاهلتها ميساء، ثم التفتت إليها فجأة:

– "أوجد في بيتنا أدوات الغوص القديمة؟"

فتحت نور عينيها باستغراب:

– "نعم... لكنها مهملة منذ زمن. لماذا تسألين؟ ماذا تنوين أن تفعلني بها؟"

أجابتها ميساء:

- "ستعرفين قريبًا..."

لكن فجأة توقفت ميساء. عيناها علقت بشيء يلمع تحت سطح الماء، يقترب منها ويبتعد ببطء، كأنه يدعوها للحاق به.

اقتربت بخطوات مترددة، حتى التقطت بين يديها شيئًا صغيرًا. فتحتة بيد مرتجفة... فإذا هو سنسال قديم!

شهقت بصدمة، وانهمرت دموعها وهي تصرخ:

- "يا إلهي... نور! إنه سنسال أبينا!"

اقتربت نور وهي مذهولة، حدقت فيه بعينين دامعتين، بينما كانت ميساء تضغط على السنسال إلى صدرها وتهمس بصوت متقطع:

- "نور... هل تفكرين فيما أفكر؟"

ميساء: نعم أختي، هل يمكن أن يكون أبينا قد غرق هنا في هذا المحيط؟

نور: لا، أنا أعتقد... أبينا لم يموت، ما زال حيًا.

ميساء: لا، لا عزيزتي، توفي أبينا منذ خمس سنوات، هل تمزحين؟

نور: أتقصدين أن أبينا له علاقة مع هذا البحر؟

ميساء (بنبرة خوف): نعم، ممكن... أشعر أنه مرتبط بهذه القرية وبالبحر أيضًا، سنكتشف الأمر قريبًا.

جلست ميساء أمام البحر، تحركت برجليها نحو الرمال الدافئة، والليل يكسو الأفق برداءٍ أسود قاتم لامع. وضعت حقيبتها أمامها وأخرجت أدوات الغوص التي ورثتها عن والدها المتوفي.

مدت يدها بتردد وحسرة، كأنها تستحضر روحه وذكراه. أول ما التقطته كان القناع الزجاجي الذي يغطي وجهها كله. مسحت عليه بيديها بوجع وقالت:

"الله يرحمك يا أبي... كم أنا مشتاقه لك. تمنيت لو كنت معي لأغوص معك ونستكشف المحيط معاً."

ثم ارتدت الزعانف، وأمسكت المصباح المضاد للماء، وثبتت أنبوب التنفس على فمها. كان أول شهيق لها غريباً، شعرت بالخوف قليلاً، لكنها تماسكت، واضعة يدها على قلبها:

"أنا لها... سأتعامل مع هذا، سأعرف السر المخبأ وراء هذا البحر."

رأت نور تقف على الشاطئ، فأوقفتها ممسكة يدها:

نور: "لا تذهبي، أختي، أنا خائفة عليك."

ميساء (بحزم): "لا تقلقي، لن يحدث لي شيء. سأعود بخير... أعدك."

انزلقت بهدوء إلى الماء، حتى بدأ جسدها يختفي بين الأمواج. بقيت نور واقفة، تدعو لها وقلبها يرتجف خوفاً.

غاصت ميساء ببطء إلى الأعماق، حتى غمرها الظلام المائي بالكامل، ولم يبق سوى ضوء المصباح الذي تشبثت به كأنه قلبها النابض. كل حركة لزعانفها تحدث صدى مكتوماً، وصوت أنفاسها عبر أنبوب التنفس يرافقها كنبض متوتر.

بينما تغوص أكثر، اخترق أنفها فجأة رائحة غريبة... رائحة دم عالقة في الماء. شعرت بقشعريرة تسري في جسدها، وارتجفت يداها على المصباح. رفعت الضوء ببطء، فلاحظت جسداً مائلاً على حجرة، ورائحته تشبه رائحة الميت بعد غسله.

كانت ملابسه ملطخة بالدماء، وجهه شاحب، يداه باردتان، وقلبه لا ينبض، وملامحه جامدة كالصنم. أظافر يديه مجروحة، وكأن شيئاً افترسه.

انصدمت من هول المشهد، اقتربت للتأكد من أنه ميت ولمسته بخفية... لم يتحرك. تأكدت حينها أنه جثة منذ زمن بعيد، فابتعدت عنه وهي تلهث بخوف.

وفجأة... عادت الرائحة مرة أخرى، لكنها هذه المرة كانت مألوفة. قلبها خفق بعنف، وكأنها تدرك أنها رائحة فقيدها. تقدمت بخطوات مرتجفة نحو مصدرها، فرأت سترة صوفية بيضاء مبللة بالماء والدماء، تفوح منها رائحة العطر البارد الذي يُرش على الأكفان.

تراجعت إلى الوراء، وإذا بقدمها ترتطم بشيء صلب أفرعها. التفتت، فرأت مدخلًا
حجريًا كبيرًا مغطى بالطحالب، كأنه باب سري يخفيه البحر. لكن فضولها غلب خوفها،
فتقدمت، فاصطدم رأسها بحجرة سال منها الدم.

أمسكت السترة وحدقت فيها، والدموع في عينيها، وأفكارها تتزاحم:

هل مات أبي غرقًا هنا؟

أم هناك من قتله في البحر؟

أم أن البحر نفسه ابتلعه؟

ما علاقة أبي بكل هذا الغموض؟

طيف غريب:

لكن البحر لم يمهلها كثيراً... شعرت بشيء يراقبها ويتتبعها كطيفٍ غامضٍ. ارتجفت وحاولت الصعود بسرعة، أنفاسها تتقطع من شدة التعب والخوف.

وحين أضاءت المصباح على ساقها، وجدت قدميها قد ازرققت، وعلى الجلد أثر جرح غامض يتسع ببطء. همست بفرع:

- "هل حاول البحر ابتلاعي مرة أخرى؟ أم أن شيئاً في الأعماق يريد موتي؟"

خرجت من الماء ببطء، تحركت قدمها بحذر خشية أن يزداد النزيف. على الشاطئ، رأت نور تصرخ وتبكي:

- "ما بكِ أختي ميسو؟ هل حدث لكِ شيء؟"

أجابت ميساء بنظرة غضب متعبة:

- "لماذا أنتِ ما زلتِ هنا؟ ألم أقل لكِ أن تذهبي؟"

نور تمسكت بها قائلة:

- "انتظرتك، قلبي كان يخبرني أن مكروهاً أصابك. هل أنتِ بخير؟ هل نذهب إلى المستشفى؟"

ميساء، وهي تحاول أن تتمالك نفسها:

- "لا... أنا بخير. قدمي لا تستطيع أن تحركها... ساعديني فقط على النهوض."

احتضنتها نور لتسندها، لكن ميساء سقطت على الرمال الباردة وهي تبكي من شدة الألم. مدت يدها تتحسس جرحها، وإذا بالألم يزداد، والزرقة تنتشر أكثر، ثم انفتح الجرح فجأة وتسرب منه الدم.

في تلك اللحظة، مر شاب بالقرب منهما، توقف مذهولاً، ثم ركض نحوهما. جلس قرب ميساء، ينظر إلى الجرح وقال بجدية:

- "يجب أن نضمده فوراً... وإلا سيزداد النزيف وتفقدن الكثير من الدم."

ثم رفع نظره إليها وسأل بنبرة حذرة:

- "هل لمست الجرح قبل أن أتى إليك..؟" يتبع..

أجابته ميساء بصوت متقطع من الألم:

- "نعم... لمستته لأوقف النزيف."

قال الشاب بجدية وهو يتفحص ساقها:

- "إذن لهذا السبب زاد الجرح وانفتح أكثر. لا تقلقي، سأساعدك على تضميده. أنتِ أختها، صحيح؟ ساعديني على حملها، لنضعها على الكرسي."

نور سارعت بالإجابة:

- "نعم، أنا أختها. شكرًا لك على مساعدتك."

تعاونت نور مع الغريب، وحملا ميساء حتى أجلساها على الكرسي الخشبي قرب الشاطئ. رفعت بصرها إليه للحظة... كان شابًا وسيماً، طويل القامة، عيناه زرقاوان كالبحر، شعره برتقالي داكن كاليقطين، يرتدي بنطال جينز أزرق، وفوقه سترة بيضاء مرسوم على ظهرها باخرة وأسراب أسماك.

ما شد انتباهها أكثر كان السلسال المعلق في عنقه، تتدلى منه قطعة معدنية منقوش عليها شبكة صيد. تمتت في سرّها:

- "غريب... هل يمكن أن يكون صيادًا أيضًا؟"

اقترب منها وهو يحمل قطعة ثلج صغيرة، وضعها على جرحها ليووقف النزيف والاحمرار. صرخت ميساء من شدة الألم، فأجاب بهدوء:

- "تحملي قليلاً... الثلج سيوقف النزيف."

ثم ضمد ساقها بإحكام، وتمنى لها الشفاء قبل أن يغادر بهدوء. بقيت ميساء مستلقية على الكرسي تستعيد أنفاسها، حتى بدأت آلامها ترتخي شيئًا فشيئًا.

لكن فجأة، اتسعت عيناه رعبًا، وهمست بصوت متقطع:

- "نور... انظري! هناك شيء يمشي في البحر... يقترب منا بخفية! يشبه الإنسان!"

صرخت ثم أضافت بارتجاف:

- "إنه ينظر إليّ... نظرتة مرعبة، مليئة بالغضب... كأنه يريد قتلي!"

حدقت نور في البحر ثم التفتت إليها قائلة بارتباك:

- "لا شيء هناك يا ميساء... أنتِ فقط تتخيلين. ربما من الصدمة بدأتِ توهمين نفسك."

لكن ميساء تمسكت بكلماتها بشجاعة:

- "لا يا نور... أنا لم أتوهم. رأيته بعيني... كان يتحرك بخفية، ونظرتة لا يمكن أن أنساها."

يتبع..

"الغاز الأعماق"

استيقظت ميساء صباحًا في تمام الساعة التاسعة، ارتدت ملابس السباحة وأيقظت أختها الصغرى نور. احتست كوب قهوة نيس كافيه مع قطع صغيرة من المثلجات وكأس عصير بطعم البرتقال والليمون. ثم تسابقت هي وأختها نحو البحر.

وقفت ميساء أمامه تستنشق هواءه، ثم غاصت في أعماقه. فجأة، وُضعت يد على كتفها بغتة، فأفزعها ذلك حتى كاد قلبها يتوقف. التفتت إلى الخلف لترى رجلًا مسنًا ينظر إليها بنظرة حنان، وقال:

– "ميساء... أنتِ ابنة الصياد محمد، صديقي الراحل. أنتِ ابنته الكبرى؟"

أجابته ميساء:

– "نعم، صحيح... أنا ميساء ابنته. من أين تعرف والدي؟"

ابتسم الرجل وأجاب:

– "اسمي أشرف. عرفت أباك منذ أيام الثانوية، درسنا معًا وأكملنا مشوارنا سووية. كان إنسانًا طيبًا، حسن السمعة، الجميع أحبوه وكانوا يستمتعون بأحاديثه. حديثه عن الصيد والبحر كان ممتعًا، وكان يجعل من يستمع إليه يتشوق لمعرفة المزيد من خبراته. كم أحببته وكم التقيت به... لكن للأسف، أخذته المنية. رحمك الله يا رفيقي احمد.

اغرورقت عيني ميساء بالدموع وقالت:

– "رحمه الله، كان أبًا طيبًا بحق."

ثم سألت بقلق:

– "هل تعرف شيئًا عن هذا البحر؟ هل تعرف كيف مات أبي؟ هل مات غرقًا... أم أن هناك سرًا آخر؟"

تنهّد أشرف وقال بنبرة غامضة:

– "لا أدري... البعض يقول إنه غرق، والبعض الآخر يقول إن البحر ابتلعه."

ارتجفت ميساء وسألته بدهشة:

- "هل مات ليلاً أم مساءً؟ هل هناك ما تخفيه عني؟"

أشاح أشرف بوجهه بعيداً عنها وكأنه يهرب من نظراتها، ثم قال:

- "لا أعلم... ليست عندي تفاصيل. لكن أنصحك يا ابنتي: ابتعدي عن البحر، ولا تسبحي فيه ليلاً."

نظرت إليه باستغراب وقالت:

- "لا أفهمك يا عم... من جهة تقول إنك لا تعلم شيئاً، ومن جهة أخرى تحذرنى من البحر ليلاً! أمرك غريب..."

أخذ حقيبته ولوّح لها مودعاً، ثم غادر في طريقه.

وقفت ميساء في مكانها، والشكوك تتزاحم في رأسها:

ما علاقة أبي بصديقه أشرف؟ لماذا تحدث ثم صمت فجأة وكأنه يخفي شيئاً؟ لماذا كل شخص أتعرف عليه له علاقة بأبي؟ ولماذا حذرنى من الغوص ليلاً؟ هل مات أبي غرقاً فعلاً، أم أن الحقيقة أخفيت عني؟ أشعر أن رائحة سرّ ما بدأت تفوح...

يتبع...

"صداه يخترق القلب، وأسراره تتدفق من جوفه... هل ستجيب ميساء له أم ستبتعد عنه؟"

الفصل الثاني: "صدى البحر وأسراره"

"استغاثة في أعماق البحر":

كنتُ عائدة إلى منزلي حين اتصلت بأختي الصغرى لأطمئن عليها، لكن هاتفها كان مغلقاً. تعجبت، فليس من عادتها ألا تجيب على اتصالاتي. وفجأة، تنأى إلى مسامعي صوت فتاة تبكي وتصرخ:

– «أنقذوني... أرجوكم!»

شعرت بألم يعتصر قلبي، وكأنني أعرفها. رميت حقيبتي وأشياي على الرمال، وارتيمت في البحر بملابسي أسبح بسرعة. غصت أبحث عن مصدر الصوت حتى وجدتها: فتاة صغيرة تبكي وتصرخ برعب. أمسكت بيديها لأنتشلها من الغرق.

لكن بينما كنت أحاول إخراجها، شعرت بلمسة خفيفة تمس يدي برفق، سرعان ما تحولت إلى قبضة قاسية تشدني وكأنها تريد منعي من إنقاذها. رأيت شيئاً يتحرك تحت الرمال... حفرة صغيرة تهتز من حولنا كأنها تُفتح لتبتلعنا.

تمسكت بالفتاة أكثر وحملتها على ظهري قائلة:

– «لا تقلقي... تمسكي بي جيداً، سنخرج بسلام».

همست لي بصوت متقطع:

– «حسناً... أختي ميسو».

شهقت عندما رأيت وجهها بوضوح... إنها أختي نور! ارتجفت وصرخت:

– «ماذا حل بك؟ يا إلهي... هل جننت؟ ألم أقل لك ألا تغوصي وحدك؟!»

لكنها ردت ببرود وسط ضعفها:

– «اصمتي... أنت نفسك لم تستطعي حمايتها، فكيف ستحميني؟ أنقذي نفسك أولاً».

غضبت وصرخت:

– «سأتحدث معك في المنزل... الآن لن أريد عليك!»

حاولت الخروج بها من المحيط، لكنني فشلت. بدأ أنفي يلتقط تلك الرائحة المقززة ذاتها... رائحة تجعلني أكاد أتقيأ. غمرني العجز، فصرخت بأعلى صوتي:

– «ساعدونا! أرجوكم... نحتاج النجدة!»

..يتبع..

"المنقذ الغريب":

لمحتُ فجأة الشاب الوسيم نفسه، ذاك الذي يحمل سِنسَالًا فيه شبكة صيد. لكن هذه المرة كان يرتدي سروال قصير أسود قصيرًا وسترة زرقاء تماثل لون عينيه. غاص في المياه دون تردد، واندفع نحونا ليساعدني في إخراج نور.

عندما وصلنا إلى الشاطئ، كانت نور تسعل بقوة بعدما ابتلعت الكثير من ماء البحر. أسرعنا إليها، غسلنا وجهها بالماء النظيف، وغطيناها بمنشفة كي تستعيد دفتها. جلسنا جميعًا على الكراسي القريبة، نتأمل المنقذ الغريب الذي بدا مألوفًا بشكل غريب.

سألته بتردد:

– «هل أنت صياد؟»

ابتسم وأجاب:

– «لا، لست صيادًا، لكني أعشق الصيد والبحر».

رمقنا نظراته وقال بدهشة:

– «لماذا تنظران إليّ وكأنكما تنتظران مني شيئًا؟»

بادرت نور قائلة:

– «لا شيء... فقط شبّهناك بجارنا القديم الذي كان يسكن أمام منزلنا قبل وفاة والدنا».

أطرق الشاب رأسه احترامًا وقال:

– «رحمه الله. هل كان والدكما صيادًا؟»

أجبتُ بحذر:

– «نعم... كان صيادًا. لكن من أين تعرفه؟»

قال:

– «أنا لا أعرفه شخصيًا، ربما شبّه عليّ الأمر. لكن... والدي حدثني عن صديق كان صيادًا أيضًا. للأسف، والذي توفي مع ذلك الصديق، لكنني لم أعثر على جثة والدي حتى

الآن. لم يبقَ لي منه سوى ملابسه وشبكة صيده، وكأنه اختفى من الوجود. على فكرة، ما اسم والدك؟ لعلهما كانا صديقين».

همستُ بقلق:

– «اسمه احمد».

ارتبك الشاب وقال متفاجئاً:

– «هل أنتِ جادة؟!»

– «نعم، كما سمعت».

– «إذن لم أكن مخطئاً... كنت أشعر دائماً أن بين والدي ووالدك رابطاً غريباً».

تتحنح قليلاً ثم أضاف:

– «اسمحا لي أن أعرف عن نفسي. أنا غيث، أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً، وأعمل محامياً. وأنتم؟»

– «تشرفنا... أنا ميساء، وهذه أختي الصغرى نور. نحن جدد في هذا المكان، لكنه أصبح كبيتنا الثاني».

ابتسم وقال:

– «تشرفت بكما».

سألته بنبرة متوترة:

– «قلت إنك لم تجد جثة عمك بعد... كيف كان صديقاً لوالدي وأنا لم أسمع به من قبل؟»
ارتسم الغموض في عينيه وأجاب:

– «كانا يبحران معاً، لكن في إحدى المرات... افترقت طرقهما. وجدوا جثة والدك، لكن جثة عمي لم تُعثر عليها قط. قيل إنه ضاع في البحر»

كلمات غيث أعادتني فجأة إلى مشهد مرّ في ذهني من قبل. كنت أتذكر بوضوح جسداً رأيته حين غصتُ في الأعماق: جسد مائل، ملامحه واضحة، عيان خضراوان واسعتان

تحدقان بفرع، وجه طويل شاحب يميل إلى الاصفرار، ملابس ممزقة ملطخة بالدماء،
ورائحة تشبه الكافور تفوح منه.

ارتجفت... هل يمكن أن يكون ذلك هو عمه؟ أم أنني كنت أتخيل؟

سألته بحزم وأنا أحاول إخفاء ارتباكي:

– «كم مضى على وفاة عمك؟»

أجاب بحزن:

– «مضى خمسون عامًا».

شهقت بدهشة... خمسون عامًا! نفس الفترة التي توفي فيها أبي. حدثت نفسي بقلق:

– «هل هي صدفة؟ أم أن هناك شيئًا أعمق يربط قصتهما؟

..يتبع..

"لقاء العمّة من جديد":

كانت ميساء ونور تتناولان فطور الصباح، حتى سمعتا طرقات الباب فجأة. تفاجأت ميساء وقالت باستغراب:

— من يكون؟ من يأتي الآن في هذا الوقت؟

ابتسمت وقالت لنور:

— ابقِ يا عزيزتي، أكملِ فطوركِ، سأفتح الباب أنا.

عندما فتحت الباب، رأت امرأة تنظر إليها بنظرة مليئة بالشوق والحنان. تفاجأت ميساء: كيف تذكرتنا وأنت لتزورنا؟

قالت المرأة مبتسمة:

— ألا تستقبليني؟ هل سنبقى هنا عند الباب يا صغيرتي ميسو؟

أجابتها ميساء بفرحة:

— لا، طبعًا، تفضلي.

دخلت المرأة وغلقت الباب خلفها. واخذت تتفقدن بعينين تملؤها السعادة وكانت عيناها تلمعان بالبكاء. قفزت نور إلى حضنها وقبلت جبينها وقالت بصوت مرتفع:

— اشتقت لكِ يا عمتي الطيبة

، هل أنتِ بخير؟ صحتك بخير؟

ابتسمت وقالت:

— تعالي لأريك شيئًا اشتريته لك، سيعجبك وستحبينه كثيرًا.

أجابت نور بسرور:

— نعم، أريني! تشوقت لرؤية هديتك.

قالت ميساء:

— حبيبتي نور، عمك تحتاج للراحة الآن، اتركها ترتاح بعد السفر، وستريك ما اشتريته لاحقًا، متفقون؟

أجابت نور:

— حسنًا، معك حق. متفقون أكيد.

بدأت ميساء وعمتها في تبادل أطراف الحديث، وسألت عمتها عن سبب انتقالهما إلى هذا البيت الصغير. أجابت ميساء بنبرة تخفي شيئًا:

— بيتنا القديم الذي ترعرعنا فيه يذكرني بأبينا، فبعد رحيله جننا إلى هنا...

ردت سلمى بقلق:

— هل أنت متأكدة؟ أشعر أنك تخفين شيئًا عني.

أجابت ميساء بثقة:

— لا، لم أخف شيئًا عنك. كل شيء على ما يرام.

ودعتها ميساء وأخبرتها أنها ذاهبة للسباحة، فصرخت عمتها بقوة:

— أنسيت أن أريك مات غرقًا بسبب ولعه وهوسه بالبحر؟ ابتعدي عنه، لا أريد فقدانك أنت أيضًا!

حضنتها ميساء بقوة وحنان، وقالت:

— لا تخافي عني، لن يصيبني شيء، أنا ابنة البحر وولدت فيه، ولا شيء يؤذيني. من قال لك إنه توفي غرقًا؟ أبي سباح ماهر، ولم يواجه أي خطر على حياته أبدًا.

سألتها عمتها بقلق:

— ماذا تريد أن تقول؟ أخبريني، اتقصد أن ابتلعه البحر؟

أجابت ميساء:

— أجل، احتمال كبير...

قالت عمتها بقلق أكبر:

— هل أنت جادة؟

ردت ميساء بنبرة تخفي القلق:

— لست جادة تمامًا، لكن أشعر أن شيئًا ما تحت المياه ابتلعه بصمت.

"غموض العجوز":

جلست ميساء على الشاطئ، تحدق في البحر الذي بدا كأنه يتقيأ ماضيه المظلم، يلفظ أسراره المدفونة بشراسة. الأمواج تتلاطم كأنها في ثورة، والرياح تحمل رائحة ملح ممزوجة بصداً وعفن لا يُحتمل.

فجأة بدأ البحر يتقيأ غرائب من جوفه، كأنه يكشف صندوقاً أسوداً دفيناً: أسمال ممزقة عالقة ببقع دم متيبس أسود كالقطران، نظارات محطمة، عصا سوداء تفوح منها رائحة الكافور. ارتجف جسدها، وكأنها على وشك أن ترى ما كانت تخشاه منذ زمن.

ولم تمض لحظات حتى دفع البحر بجسد متيبس كتمثال مكسور، يطفو بلا حياة، تفوح منه رائحة موت خام لم تمسه يد غُسل أو كفن. ثم ألقى على الرمال رضيعاً مغطى بقطعة قماش بيضاء، ساكناً بلا حراك.

تجمدت عينا ميساء وهي تراقب، ويدها ترتجف، قلبها يكاد ينفجر من هول ما ترى. كا البحر يحذرهما ..

مرّ بجانبها فجأة عجوز مسن، يتمتم بكلمات غامضة. اقترب من الرضيع الملقى، مسح على رأسه بتعويذات خافتة، وما هي إلا ثوانٍ حتى استيقظ الصغير وهو يبكي.

تقدمت ميساء بخطوات مرتجفة وهمست:

— اعدرني... ظننتك ساحراً.

ابتسم العجوز بغموض، وقال:

— كثيرون يظنونني كذلك،

لكنني لست ساحراً...

تقدمت ميساء خطوة وسألته:

— إذن من أنت؟ وكيف أعدت هذا الطفل إلى قيد الحياة؟

نظر إليها طويلاً ثم قال بصوت خافت:

— هذا ما ستعرفينه قريباً... يتبع

وقفت ميساء مذهولة مما رآته، عيناها معلقتان بالرضيع الذي مات ثم عاد إلى الحياة كالمعجزة. ارتجف جسدها، ولم تستطع أن تستوعب ما حدث في يوم واحد وأمام ناظريها!

كان البحر ما يزال غاضبًا، يظهر جوفه من الموتى، تارةً هادئًا كأم حنون، وتارةً أخرى يتقلب كالعاصفة، كأنه كائن حي يملك روحًا وجسدًا.

همست بين نفسها:

- هل هذا حقيقي؟ أم أنني أهذي؟

سمعتها العجوز، فاقترب خطوة وقال بصوت منخفض:

— نعم يا ابنتي... هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها عن البحر. ابتعدي عنه، فهذا أفضل لك. أنت صغيرة في عمر الزهور، عيشي حياتك ولا تقتربي منه، كي لا تخسري حياتك. التفتت إليه بعينين حادتين، وردت بلهجة متوترة:

— ماذا تقصد بكلامك؟ ولماذا تحذرونني جميعًا من البحر وكأنه وحش؟ ما الذي تخفيه أيها العجوز؟

رفع حاجبه ونظر إليها مليًا، ثم قال ببطء:

— لا تستعجلي... كل ما يدور في ذهنك من أسئلة ستعرفينه قريبًا. لكن حينها... ستتمنين لو أنك لم تعرفي..

"صرخة وجع فتاة":

ابتعد العجوز وهو يحمل الرضيع على ظهره، يسير مسرعاً كأن خوفاً يطارده من أن يراه أحد أو يكشف سره. ترك ميساء وحيدة أمام البحر، ذلك البحر الذي يجنّ مرة ويحنو مرة، ثم هدأ فجأة وكأن شيئاً لم يحدث.

جلست على ركبتيها تبكي، ورسمت اسم أبيها على الرمال وهي تصرخ بصوت مرتجف:

— أبي... هل رحلت هنا؟ لماذا أشعر أن روحك عالقة في هذا المكان؟ لماذا يقول الجميع إنك متّ غرقاً؟ لا أصدقهم... البحر لا يغرقك، أنت أقوى من ذلك... هل ابتلعك البحر؟

ساد الصمت للحظة، ثم تذكرت كلمات عمتها وتحذيراتها وغضب أختها نور. لماذا يصر الجميع على أن موت أبيها كان عادياً، بينما البحر اليوم يكشف لها وجهاً آخر، كأنه يريد أن يبوح لها بأسراره المخفية؟

رفعت رأسها، فرأت الموج يتقلب من جديد، كأنه يجيبها. عندها ظهر أمامها مشهد مروّع: فتاة تغرق وتلوح بيديها في استغاثة. اندفعت ميساء نحوها بثيابها تريد إنقاذها، لكن الغريقة صاحت بصوت مبحوح، مملوء بالدموع واليأس:

— لا تقتربي! أرجوك... ابتعدي فوراً!

وبينما تترجاها بعينيها الغارقتين في الألم، ابتلعته المياه فجأة وغابت عن الوجود. لم يبقَ لها أثر ولا صوت. تجمدت ميساء في مكانها، عاجزة عن إنقاذها، واكتفت بالانسحاب، والدم يثقل كفيها، ورعشة تسري في جسدها.

خرجت من البحر لاهثة، وجهها شاحب كالأموات، ويدها تنزفان لا تدري من أين جاء الدم. هرعت نور إليها مذعورة، وقالت بصوت مرتعش:

— أختي! ما بك؟ وجهك أصفر، ويداك تنزفان! اعتذر منك عما حدث في الصباح... لكن أخبريني، ماذا رأيت؟ لماذا تفعلين هذا بنفسك؟ أتريدين قتلي بحزني عليك؟ أتريدين أن أفقدك أنت أيضاً؟!

"قرار الغوص":

مرّت الليلة ثقيلة، ومع بزوغ الفجر، كانت ميساء قد اتخذت قرارها. عند الرابعة والنصف عادت إلى الشاطئ، لكن هذه المرة بقلب أصلب، وعزيمة لا تهتز. أخذت أدوات غوصها، وعيناها تحملان نار الأسئلة التي لم تجد لها جواباً. تمتت في سرها:

— لن أستسلم هذه المرة. سأعرف... حتى لو كان الثمن حياتي.

دخلت المياه ببطء، حتى بللت الموجات ساقيها الباردتين. لكن فجأة سمعت صوتاً مألوفاً خلفها. التفتت، فإذا بالعجوز ذاته واقف أمامها، وجهه متعب وعيناه غائرتان، يمسك عصاه الخشبية المنقوشة بكلمات غامضة. نظر إليها بجدية وقال:

— توقفي! لا تدخلي البحر الآن. إنه ليس وقتك بعد. البحر غاضب ويختبرك. إن نزلت اليوم لن تعود كما أنت

...يتبع..

"اختبار الهاوية":

اقتربت منه ميساء، عيناها ثابتتان وقلبها مضطرم بالعزم، وقالت بصوت حازم:

— لا يهمني ماذا سيحدث لي ... أريد أن أعرف الحقيقة.

ابتسم العجوز ابتسامة باهتة، وقال ببطء:

— إذن ... لقد اخترت. تحملي ما ينتظرك، ولا تلومي إلا نفسك. فمن يقترب أكثر...
يلقى في الهاوية...

لم تسمعه ميساء، تجاهلته وذهبت، وتوجهت إليه بقوة وثبات، فقال لها:

— تذكرني شيئاً: ما سيحدث لك سواء الآن أو لاحقاً، أنت من ستتحملين نتائج أفعالك، أنت مسؤولة عن نفسك. الكثيرون مثلك كانوا فضوليين، لكن في النهاية هم من رموا بأنفسهم في المقبرة.

أجابته ميساء بصوت غاضب:

— ماذا تقول؟ لن يصيبني شيء، أنا ابنته ولا أخاف من شيء، لذا لا تلاحقني مرة أخرى واطركني وشأني. لا أريد سماع تلميحاتك ولا كلامك. ابتعد عني.

ارتدت ملابس الغوص، وقبل أن تغوص، سمعت العجوز يتحدث بعصاه مع البحر ويقول له:

— سامحها هذه المرة، أرجوك. هي فتاة صغيرة في عمر الزهور، لا تزال لديها أحلام وحياة لتعيشها. اتركها هذه المرة، ولا تؤذيها، فهي لا تعرف شيئاً.

ثم ذهب في طريقه يمشي بخطوات متناقلة.

تساءلت ميساء: لماذا يتحدث عنها مع البحر؟ هل هو إنسان بداخله؟ ولماذا كان يترجاه أن لا يؤذيها؟

يتبع...

" لم يكن موت عمتي يخيفني ... بل أن المدى ابتلعها مرة أخرى ...
وكأنه يعرفها من قبل ...
لكن ... متى كانت المرة الأولى " ...

الفصل الثالث:

"صرختها الأخيرة"

في المساء، عند الواحدة زوالاً، كانت ميساء تجلس مع أختها نور وعمتها سلمى.

قالت سلمى بنبرة مختلطة بين الخوف والحزم:

— ابنتي... أريدك أن تعودي إلى منزلك، وتبتعدي عن هذا المكان. لا أشعر أنه آمن لكما، ولا أرتاح له. أرجوك يا ميساء... أنا أفكر بك وبأختك. وإن رفضت، فسناخذكما معي إلى بيتي في باريس، هناك حياة آمنة ومستقرة تنتظركما.

رفعت ميساء رأسها، وقالت بثقة:

— لا يا عمتي. لن نذهب، ولن نأتي معك.

سنبقى هنا... حتى أكتشف الحقيقة، وحتى أسترجع حق أبي. بعدها فقط سنعود.

صرخت سلمى في وجهها، والغضب يختلط بخوفها:

— ألا تفهمين؟ أقول لك إن هذا المكان ليس آمناً، وأنت تجيبين بكل ثقة أنك ستبقين؟ ألا تخافين على أختك نور من أن يصيبها مكروه بسبب عنادك؟

ثم أمسكت بيد نور محاولة سحبها بالقوة، وقالت:

— هيا نور، هيا نذهب من هنا. إن أرادت أختك أن تبقى، فلتبقى وحدها. تعالي معي إلى باريس، أختك تفكر فقط بنفسها!.

لكن نور صرخت في وجهها:

— لا يا عمتي! لن أذهب من دون أختي ميسو! لن أتركها وحدها هنا... أرجوك لا تجبريني!

ثم أضافت بحرقة:

— أين كنت كل هذه السنوات؟ منذ موت أبي لم تزورينا، ولم تتصلي بنا حتى. والآن جئت لتأخذينا بعيداً وكأنك تهتمين فجأة؟! نحن تعودنا وحدنا... لسنا بحاجة لأحد.

خيم الصمت، وسلمى وقفت تحدق فيهما بعينين دامعتين، ثم تنهدت وأخذت حقيبتها ببطء.

قبل أن تغادر، اقتربت من نور، ضممتها بقوة إلى صدرها، قبلتها من جبينها، ووضعت في يدها بعض المال قائلة:

— ستحتاجينه يوماً ما... سامحيني.

ثم التفتت إلى ميساء، نظرت إليها نظرة مليئة بالحزن والندم، وهمست:

— اعتذر منك يا ابنتي... سامحيني إن قصرت.

وغادرت البيت دون أن تنطق بكلمة أخرى، وكانت خطواتها ثقيلة كأنها تعرف أن هذا الوداع الأخير.

بعد قليل، وقفت سلمى أمام البحر، تودّعه بعينيها. أخذت تقترب خطوة بعد خطوة دون أن تشعر، حتى بدا وكأن شيئاً يقترب منها. ارتجفت، حاولت أن تهرب، لكن فجأة حدث ما لم يكن في الحسبان..

في تلك اللحظة، خرجت ميساء من المنزل غاضبة، تحاول استنشاق الهواء. فجأة سمعت صرخات مرتجفة تمزق الأفق:

— النجدة! ساعدها! ستموت!

التفتت بسرعة، فرأت يداً تتخبط في عمق البحر، تصارع للبقاء. ركضت بكل قوتها نحوها، والغصة تخنقها، وقلبها يصرخ:

— لا بد أنها عمتي!..

قفزت ميساء إلى الماء، أمسكت باليد الممدودة، ورفعت وجه الغريقة... فتجمدت. كانت عمّتها سلمى.

صرخت ميساء باكية:

— عمّتي! سامحيني... أرجوكِ تمسكي بي! لن أدعكِ تذهبي!

سلمى رفعت رأسها بصعوبة، عيناها مثقلتان بالدموع والملح. قالت بصوت متقطع:

— ميسو... ابنتي... أختك نور أمانة عندك... لا تتركها وحدها... سامحتك...
سامحتك يا صغيرتي...

ثم فجأة اتسعت عيناها، وصرخت بصوت مرتجف:

— ابتعدي...

خلفك!...

ارتجفت ميساء وسألتها:

— ماذا هناك؟ عمّتي... ماذا رأيت؟

لكن الكلمات اختنقت في حلق سلمى، ويدها انسلت من يد ميساء، وغاص جسدها في عمق البحر كزهرة تبتلعها العاصفة.

صرخت ميساء بصوت يملأ السماء:

— لا!

اندفعت موجة عنيفة، رمتها بجانب جثة عمّتها المسجاة على الرمال. ضمّتها ميساء وهي تبكي، وتردد:

— أخذتم مني رائحة أبي... والآن عمّتي... لن أسامحك أيها البحر! أخذتم أبي مني...
والآن عمّتي... فماذا تريدون مني بعد؟!.

حملتُ عمتي بين ذراعي، ودموعي تحجب عني الرؤية. كانت عيناها مفزوعتين، وكأنها رأت شيئاً مريعاً قبل أن تفارق الحياة... ثم أغمضتهما بهدوء إلى الأبد.

وضعتها على ظهري أجرّها بصعوبة، وإذا بنور تركض نحوي باكية وهي تصرخ:

— ميسو! هل... هل عمتي ماتت؟

نظرت إليها وقلبي يتمزق، وأجبتها بصوت مبجوح:

— نعم يا نور... عمتي رحلت.

اقتربت مني نور تساعدني على حملها، وأنا أطلب منها:

— اتصلي بالغسالة، يجب أن تأتي لتغسلها.

هزّت رأسها بالموافقة، وقبل أن تمسك هاتفها، اعترضنا ذلك العجوز الغامض. وقف أمامنا متسائلاً بنبرة غريبة:

— هل ماتت غرقاً؟ أم أن هناك... شيئاً آخر؟

توقفت ميساء تنظر إليه بحدة:

— ماذا تعني بكلامك؟ قل بوضوح!

ابتسم العجوز ابتسامة غامضة وقال:

— لا تتغابي عليّ. أنتِ تفهمين قصدي جيداً. غريب أمرها... جاءت إليك منذ ثلاثة أيام، واليوم تلقى حتفها في البحر؟

صرخت ميساء بغضب، وعروقتها ترتجف:

— كفى! هذا ليس وقت أسئلتك السخيفة! ألا ترى أنني أحمل جثة عمتي؟! إن لم يكن لديك قلب يشعر بما أمر به، فابتعد عن وجهي فوراً، ولا أريد أن أسمع صوتك مرة أخرى!

شدت نور على يد أختها مهدئة:

— لا تغضبي، ميسو. لا تصغي إليه... إنه عجوز مريض.

ابتعدت ميساء عنه وهي تجرّ أختها، لكن قبل أن يرحل، سمعته يهمس بصوت مبحوح كمن يحدث نفسه:

— سامحيني يا ابنتي... رحمها الله. أعظم الله أجركم. لكن... هذه المرة لن أستطيع إحياءها، كما فعلت سابقاً مع الرضيع... للأسف، الأمر انتهى.

تجمدت ميساء في مكانها، قلبها يكاد يقفز من بين أضلاعها. ما الذي يعنيه؟ أي رضيع يقصد؟ أي إحياء يتحدث عنه؟ لكن عقلها كان مثقلاً بالحزن فلم تستطع أن تستوعب. تجاهلته وهي تمسح دموعها، وتابعت مع نور طريقهما.

وصلت الغسالة بعد قليل. كانت تلمح في عينيها أسئلة، لكنها لم تجرؤ أن تسأل إلا بصوت خافت:

— كيف ماتت؟

يتبع..

لم يكن فقدانها هو أصعب شيء...
بل حين كانت تغرق أمامي...
مددتُ يدي نحوها...
وكنْتُ كغصنٍ مكسور... لا يصل."

الفصل الرابع:

"رائحة الكافور"

رفعت ميساء رأسها وأجابت بحدة كأنها تريد إغلاق الباب أمام أي شك:

— غرقت في البحر. نعم... غرقت.

أومأت الغسالة برأسها وقالت:

— حسنًا. اذهبوا أنتم الآن. سأهتم أنا بتغسيلها. يكفي أن تبقى واحدة منكن معي.

نظرت ميساء إلى أختها:

— نور، عودي إلى المنزل، لا أريدك أن تري شيئًا يؤذيك. أنا سأبقى معها.

نور بصوت مرتعش:

— لكن...

قاطعتها ميساء:

— لا تقلقي، أنا هنا.

ابتعدت نور باكياً، بينما أمسكت الغسالة بيد ميساء وقالت:

— اليوم نغسلها، وغداً، بعد صلاة العصر، سنقيم جنازتها... يجب ألا نتركها هكذا.

انحنى ميساء برأسها موافقةً، ودموعها ما تزال تنحدر بلا توقف.

بعد صلاة العصر، غصت المقبرة بالناس. ارتجت الأرض تحت وقع الأقدام وهي تحمل نعش عمتي، وامتزج صوت التكبير مع نحيب النسوة. كان الهواء خانقاً برائحة التراب الرطب، وكأن السماء نفسها تبكي معنا.

وقفتُ إلى جانب أختي نور، أتشبّث بيدها بقوة خوفاً من أن أنهار مع الجنازة. قلبي كان يصرخ:
كيف أدفنها بهذه السرعة؟

حين وُضع النعش في القبر، تدفقت دموعي بلا توقف. رفعت يدي أقرأ لها الفاتحة، بينما الأيدي تنثر حفنات التراب فوق جسدها... شيئاً فشيئاً اختفت ملامحها تماماً، ولم يبق إلا صدى صوتي المرتجف:

— سامحيني يا عمتي... سامحيني.

وبينما كنت أمسح دموعي بكّمي، اقترب مني شابٌ وسيم، صوته هادئٌ لكن يحمل ثِقلاً غريباً:

— هل سلمى... عمتك؟

التفتُ إليه مرتبكةً، والدموع ما زالت تحفر وجنتي:

— نعم... هي. رحلت ليلة أمس.

انحنى برأسه حزناً وقال:

— رحمها الله. أنا غيث... الشاب الذي التقيت به منذ شهر، وساعدتك. هل تذكرتني؟

تأملت ملامحه لبرهة ثم أومأت ببطء:

— آه... نعم. أنت... غيث.

لكن قبل أن ألتقط أنفاسي، اخترق الجو صوتٌ قوي من بعيد:

— ميساء!... ميساء، تعالي إلى هنا!

التفتُ فرأيت الغسالة تلوح لي بيدها بإصرار، وعلى وجهها ملامح لم أستطع تفسيرها.

ودّعتُ غيث على عجل، وقلبي لا يزال يلهث من ثقل الجنازة، ثم أسرع نحو الغسالة. كانت ملامحها جادة على نحو أربكني، اقتربت مني وهمست:

— أريد التحدث معك في أمر يخص عمتك... على انفراد.

التفتُ إلى نور وربّت على يدها برفق:

— عزيزتي، اتركينا قليلاً. سأتي إليك بعد لحظات.

مسحت نور دموعها بطرف خمارها وقالت بصوت متهدج:

— كما تريدين، أختي.

التفتُ للغسالة بقلق يضرب صدري:

— ما الأمر؟

لقد أفرعتني.

ترددت لبرهة، ثم انحنى صوتها كأنه يحمل سرّاً خطيراً:

— وأنا أغسل جسد عمتك... وجدتُ آثار جروح على رقبتها وكتفها.

لا أثر لموج البحر فيها.

اتسعت عيناى، لكن قبل أن أنطق، تابعت بخوف:

— والأغرب... أن رائحة الكافور خرجت من جسدها قبل أن أضع عليها الكافور! صدقيني...
عمتك لم تمت غرقاً..

ارتجف جسدي كله، كأن الأرض انسحبت من تحتي. لم أجد إلا أن أهمس بصوت مرتعش:

— شكرًا... شكرًا لأنك أخبرتني.

استدرت أجزّ خطواتي بسرعة، أبحث بعينين مذعورتين عن ذلك العجوز. جُلت في كل زاوية، حتى
وجدته أخيرًا واقفًا على حافة البحر، عصاه مغروسة في الرمال، وملامحه واجمة كمن كان
ينتظرني منذ زمن.

اقتربت منه بخطوات ثقيلة، وما إن التقت عيناى بعينيه الغائرتين، حتى قال بصوت خافت كنسمة
باردة تخترق القلب:

— أتيت أخيرًا... هل فكرت بما قلته لك؟:

صرخت بارتباك، وقلبي يقرع كطبل مجنون:

— لا أفهم ما تعنيه... أيها الساحر!

ضرب بعصاه الرمل بقوة، فتناثرت ذراته كشررٍ يتطاير، ثم صرخ بعينين تقدحان نارًا:

— لست ساحرًا! قلتها لك مرارًا. لا تحكمني عليّ بما تجهلينه.

شبهت بحدّة، والدموع تنساب كالشلال من عينيّ:

— بلا! أنت ساحر... وإلا كيف أحبيبت الرضيع؟! من غير الساحر يردّ روحًا بعد أن تزهق؟!:

اقترب بخطوات ثقيلة، غارقة في الغموض، حتى كاد صوته يلامس وجهي:

— سأكشف لك حقيقة واحدة فقط... عمّتك لم تمت غرقاً. قلتها لك منذ البداية...

فضولها وعنادها، وأنت... تشبهينها كثيرًا.

ارتجفت وأنا أصرخ بوجهه، والدموع تنهمر على وجنتيّ:

— اصمت! لا شأن لك بها... لا تذكرها بسوء!

قهقه فجأة، ضحكة مجلجلة كسياطٍ تمزّق الصمت:

— الحقيقة تؤلمك يا ابنتي؟ كلّمك تتعطشون إليها، وحين تلمسونها... ستدفعون الثمن غالياً.
ستسقطون في الهاوية بأقدامكم!

استدار بخطوة متثاقلة، رافعاً عصاه، وصوته يتردد مع موج البحر:

— نصيحتي الأخيرة... إن بقيتِ على هذه العصبية والتصرّفات المتهورّة، ستلقين نفسك في
المقبرة... تماماً مثل عمّتك... وأبيك

...يتبع...

الفصل الخامس :

"السر المختبئ وراء الهمس"

أجابت ميساء بقلق:

- "لماذا في كل مرة تربط عمتي وأبي بي؟"

فجأة، ظهر شخص غريب الأطوار، يرتدي لباس السباحة، أمسك بيدها من الخلف وجرها نحو نفسه:

- "لا تتكلمي معه، إنه ساحر مجنون، ابتعدي عنه."

وقف العجوز مستغرباً:

- "ماذا تفعل؟ ماذا تقول؟ أنا لست ساحراً! احترم نفسك."

همس الغريب في أذن العجوز بصوت خافت:

- "ابتعد عنها، ولا تقرب منها، وإلا ستدفع الثمن. أعطيك ما تريد فقط،

ستبقى صامتاً، هل فهمت؟"

رفع العجوز حاجبيه بدهشة:

- "أهذا أنت؟ أخي زياد؟ لم أعرفك، لقد تغيرت كثيراً... اشتقت إليك."

رد زياد بصرامة:

- "ابتعد عني، ولا داعي للمجاملات."

تساءلت ميساء بقلق:

- "هل تعرفان بعضكما؟"

أجاب زياد وهو يحدق في العجوز وكأنه يراقبه:

- "لا، تعرفت عليه ليلة أمس فقط... هيا، لنذهب من هنا يا ميساء."

أخذها إلى الشاطئ وجلس يتحدث معها:

- "ميساء، هل أنت بخير؟ ماذا أخبرك ذلك الساحر؟ عن ماذا كنتم تتحدثان؟"

أجابت ميساء مترددة:

– "لا شيء يا عمي، فقط كنا نتناقش."

رد زياد بغضب ولكنه محافظ على هدوئه:

– "لا تخفي عني شيئاً... أنا عمك، لا أؤذيك. اخبريني، ما الأمر؟"

قصّت عليه ميساء ما حدث معها.

ضحك العم وقال:

– "هل صدقته يا ميساء؟ إنه ماهر ومخادع. لا تصدقيه، يريد فقط تشويش عقلك. لا يوجد شيء في

البحر. عمك وأبيك ماتوا غرقاً فقط."

شعرت ميساء أن العم يخفي شيئاً، أنظرته إلى العجوز ولاحظت التوتر في عينيه وكأنهما يعرفان سرّاً كبيراً. همس العم للغريب بخفاء، فزاد الفضول والريبة في قلبها.

ميساء تتساءل: لماذا صمت العجوز؟ ماذا قال له العم؟ ما سر العلاقة بينهما؟ ولماذا يخفيان الحقيقة عنها؟

يتبع...

في الصباح الباكر، استيقظت الأختان نور و ميساء، ودخلتا المطبخ لتناول فطور الصباح، وإذا بهما يلاقيان عمهما هناك، قد جهز لهما المائدة. رحب بهما قائلاً:

- "صباح الخير، بناتي. تفضلاً على مائدة الإفطار."

جلست الأختان متفاجئتين، تتساءلان: لماذا عاد عمنا مجدداً؟ ماذا يخفي عنا؟ وماذا يحاول أن يفعل لكسبنا من جديد؟

نظر إليهما نظرة آسية كعادته، وقال:

- "ماذا تتهامسن ورائي ألم تشتقن إلى عمكن؟ أنتن بنات أختي... لماذا منزعتان مني؟ ماذا فعلت لكن؟"

أجابت ميساء ونور:

- "لا شيء، فقط تفاجأنا بعودتك، كيف تذكرت أن لديك بنات أختك؟ أم أن ضميرك أنك؟ ردّ عمهما بنظرات استغراب:

- "أعلم أنني أخطأت في حقن كثيراً، أعتذر منكن. عدت لأصلح خطأي معكن. هل تسامحن عمكن الذي يحبكن؟ أنا مثل أبيكن."

ردت الأختان بغضب:

- "كلا، أنت لست أبانا، ولن تكون أبداً."

أجاب زياد:

- "حسنًا، لن أكون كما تريدان، لكن أودّ إخباركن أنني سأبقى هنا معكن، في هذا المنزل سأستقر ولن نتناقش في هذا الأمر. أنا عمكن، ولست غريباً عنكن. سأرافقكن أينما ذهبتن."

ردت ميساء بغضب:

- "لسنا بحاجة لرفقتك، شكرًا لك."

أمسكت ميساء بأختها نور وذهبتا للعب التنس أمام البحر، بينما ذهب عمّهما خلفهما يراقبهما من بعيد وهو يحتسي قهوته.

نور، وهي تلعب بالتنس مع ميساء، ضربت الكرة بالخطأ في كأس القهوة الخاص بعمها فأسقطته. غضب عليها، لكنه لم يُظهر ذلك، واكتفى بابتسامة تخفي انزعاجه.

قالت نور من بعيد:

– "أعتذر يا عمي، لم أرك."

ردّ زياد:

– "لا بأس، عزيزتي، لا تعتذري."

وفي داخله، كان يمقتها ولا يحبها.

يتبع...

"بين الغوص والمواجهة":

بقيت الأختان تلعبان بالتنس حتى أذان المغرب. دخلت نور إلى المنزل، بينما بقيت ميساء قرب البحر، ونادت على أختها لتعطي لها ملابس السباحة وأدوات الغوص. ارتدتا بسرعة، لكن عمها زياد كان يراقبها من بعيد، فانزعج واقترب منها، ثم أوقفها بيده وهو يقول بغضب:

– توقفي ميساء! إلى أين تذهبين؟

نظرت إليه بحدة وردت:

– هل كنت تراقبني؟! ما شأنك بي؟ أفعّل ما يحلو لي، لست أبي حتى تأمرني.

لم تلتفت لكلامه، وغاصت تحت مياه البحر الباردة متجهة نحو طريقها المعتاد. لحق بها عمها، غاص وراءها، لكنها ما إن شعرت بوجوده حتى غيرت مسارها بسرعة كي لا يكتشف سرّها. مثلت أمامه أنها تسبح فقط وتلهو برش قطرات الماء المالحة على وجهها.

عاد زياد وخرج من البحر، لكن في داخله بدأ يتمتم:

– هل عرفت أنني أراقبها فغيرت طريقها؟ أم أنها لم تنتبه لوجودي؟ غريبة هذه الفتاة... إنها ذكية وليست سهلة.

سأكتشف سرّها مهما كلفني الأمر.

أما ميساء، فانتظرت حتى ابتعد عمها تمامًا، ثم غاصت مجددًا، هذه المرة بعيدًا عن المنزل. بقيت تحت الأمواج ثلاث ساعات ونصف، حتى بدأ جسدها يرتجف من شدة برودة المياه. فجأة شعرت بلسعة غامضة في إصبعها. التفتت سريعًا لكنها لم تر شيئًا؛ وكأن ما لسعها اختفى في اللحظة نفسها. دمها أخذ ينزف والألم اشتدّ، فاضطرت إلى الخروج بسرعة.

وما إن خرجت، حتى رأت عمها جالسًا أمام البحر، ينتظرها على المقعد الخشبي، والسيجارة بين أصابعه والدخان يتصاعد منه.

ارتبكت، وتساءلت في داخلها:

– هل تبعني ورآني حقًا؟ أم أنه عاد الآن فقط ليواصل مراقبتي؟ قلبي غير مطمئن معه...
ماذا يخفي عني؟

اقترب منها زياد بعصبية، أمسك يدها بقوة وجرّها نحوه وهو يصرخ:

– لن تسبحي بعد اليوم في الليل، هل فهمتِ؟!!

حاولت أن تفلت منه وهي تبكي وتصرخ:

– دعني! أتركني!

لكن قبضته كانت أقوى. سحبها بعنف إلى المنزل، وأدخلها غرفتها بالقوة، ثم أغلق الباب
بالمفتاح، تاركًا إياها وحيدة تبكي في الظلام.

شعرت أن صوتي اختنق في جمجمتي، جسدي تجمد كالصنم لم يستطع التحرك ولا
الهروب.

لم أكن أعلم وجهه الحقيقي، لكنني كنت أشعر أنه به شيء يخفيه وراء ابتسامته المزيفة.
سأكتشف أمرك قريباً ...

..يتبع..

سمعت دقات في الباب تطرق طرقاً خفيفة وتهمس لي بصوت خافت: ميساء، هل أنت بخير؟

أنا نور لا تخافي سأبحث عن المفتاح واتي إليك وأخرجك من هنا!.

رددت بصوت مختنق ميساء: حسناً، عزيزتي نور، شكراً لك.

نور أخذت تبحث في كل الأماكن عن مفتاح الغرفة، حتى وصلت لغرفته، سمعت صوت شخير، علمت أنه نائم، مرت بجانبه واقتربت منه بخفية بدون ما يراها ودخلت يدها في جيب سرواله وأخذت المفتاح وهربت وأغلقت عليه الباب.

ذهبت لغرفة ميساء وفتحت لها الباب وأخرجتها منه.

ذهبنا أنا وميساء للخارج، جلسنا في الرمال الباردة وأخذنا نلعب ونرسم عليها أسمائنا، إلا بعد ثواني رأيناها يقف أمامنا ويبتسم تلك الابتسامة المخفية التي ورائها كره، يصرخ بقوة: هل تريداني أن أجن منكم؟..

كيف هربت من غرفتك ميساء؟

أظن أن نور أختك هي من ساعدتك وفتحت لك الباب. اقترب من أختي نور ونظر لها وابتسم كعادته.

نور: رأيتك يقترب مني بخطوات متناقلة، نظراته لي الشر يتطاير من عينه، خشيت منه ومن نظراته لي .

ارتعدت منه، جسدي لم يقوى على الحركة ولا عن الابتعاد عنه من صدمتي، لم أستطيع التحدث تفاجأت فيه، هل هذا عمي حقاً؟

أم انه غريب عنا؟..

ما إلا لحظات تقف أمامه ميساء أختها الكبرى وتوقفها بيدها وتصرخ في وجهه، ابتعد من هنا، إياك أن تحاول مرة أخرى أن تقترب من أختي نور، هل فهمت ليست لوحدها، أنا معها، إن رأيتك مرة أخرى تقترب منها ستدفع الثمن مهما كنت سواء عمي أو شخص آخر.

صمت للحظات لم ينطق كلمة واحدة، قال فقط كنت امزح مع أختك فقط، أنت بالغتي في ردة فعلك فقط، اخذ حقيبتة وذهب.

نور تبكي وتصرخ أختي كدت اسقط من خوفي منه، أخافتني نظراته، أرجوك هيا لنذهب من هنا، أنا لست مرتاحة هنا ولا في هذا المنزل، ولا مع عمنا، هيا أرجوك، لن يرحموننا سيقتلوننا كما فعلو بعمتنا وأبيننا.

ردت بحنان ميساء: مسحت على رأس ابنتها نور وقبلت جبينها وحضنتها بقوة وطببت على كتفها، ثقي بي عزيزتي نور لن يقتلنا احد ولا أسمح لأحد أن يقترب منك، لا تقلقي، لن نذهب من هنا حتى نكتشف الحقائق ثم بعدها نذهب ونرحل من هنا، بقي القليل عزيزتي اصبري من أجلي عزيزتي سنذهب من هنا قريباً ونعود لمنزلنا القديم، فقط اصبري.

في الصباح الباكر على ساعة الثامنة صباحاً

استيقظت من نومي مع تنبيه منبه هاتفي، ارتديت ملابس السباحة وخرجت من منزلي وذهبت للبحر، بقيت اتامله في الأول ثم استعدت له وغصته مع أمواجه الباردة التي لسعت جلدي كالحشرات، وأنا أسبح وابحث عن المكان الذي ذهبت إليه في السابق الذي كان يوجد فيه باب كبير مغلق لم أجده وكأنه اختفى في لحظة، ما إلا لحظات شعرت بشيء دفعني بالقوة وأخرجني من البحر. مسكت بنفسي واعدت الغوص من جديد وإذا به يهيج البحر ويصبح مضطرب وغاضب ويغطسني ثلاثة مرات تحت الرمال حتى إنني لم أستطيع إنقاذ نفسي، حاولت بقوة منعها لكن قوتها أخرجتني بقوة للشاطئ، واصطدم رأسي في حجرة ونزف منه الدم، رغم وجع رأسي إلا إنني بقيت مُصرة أن اعرف من هذا الشخص الذي دفعني بقوة للشاطئ.

وأنا اصرخ بقوة النجدة، سمعني العجوز نفسه، أنقذني وأعطاني يده لتمسك به،

العجوز: هيا، يا ميساء، انسي ما حدث بيننا، وتمسكي بي جيداً.

كنت في الأول مترددة بتمسكه. ثم لم يكن لي خياراً أخر تمسكت به بقوة ومسكني بيديه وانتشلني من الحفرة التي وقعت فيها.

ميساء: شكرا لك عمي، لولاك لكنت الآن ميتة. لن أنسى مساعدتك لي.

العجوز: لم افعل شيء، هذا واجبي عزيزتي، أنت أمانتنا يجب أن نساعدك وان لا نتركك لوحداك.

ميساء: ماذا تقصد بكلامك أمانتنا؟

من أين تعرف أبي؟

العجوز: نعم ، اعتذر عما بدر مني في السابق، فقط خفت عنك ان يحدث لك شيء لذلك تكلمت معك هكذا ، لا اعرف أباك ..

أنت مثل ابنتي وأنا مثل أبيك واجب علي أن أحملك.

لم اصدق كلامه لا اعرف لماذا شعرت انه يود أن يتودد لي وان يجعلني أثق به .

لا اعرف لماذا شعرت بشيء يخفيه عني وراء كلماته وضحكته، لم ارتاح له

بينما كنت أحرق في ابتسامته الغامضة، فجأة شعرت بنسمة باردة تمرّ من خلفي، تجمّدت يداي من شدة البرد، وسمعت همساً غريباً يناديني بغضب:

– "ميساء!"

ارتعدت، وقشعرّ بدني كله... البحر يناديني!

سألت العجوز بخوف:

– هل سمعت ما سمعته الآن؟ لقد ناداني!

ابتسم باستهزاء وقال:

– ماذا؟ لم أسمع شيئاً. هل جننت؟ البحر ليس إنساناً حتى يناديك... يبدو أنّ هوسك به أفقدك عقلك

وانفجر ضاحكاً وهو يضرب بعصاه على الرمال...

لكن، رغم صوته العالي، ظلّ صدى الهمس يرنّ في أذني... وكأن البحر لم يتوقف عن مناداتي بعد.

في اليوم التالي، بعد ما حدث ليلة أمس، عادت ميساء إلى البيت.
وما إن فتحت الباب حتى هرعت إليها أختها نور، تعانقها وتقبلها بفرح.
قالت نور ببراءةٍ وابتسامةٍ واسعة:

– اشتقت إليك كثيرًا يا ميسو! هل أنت بخير؟ أين شرد ذهنك؟

ابتسمت ميساء ابتسامةً متعبة، وأجابت بصوتٍ خافت:

– أنا بخير... فقط أحتاج أن أستحم وأغسل ملابسِي، وسأتي إليك حالاً،
ردّت نور بحيوية:

– كما تشائين، أنا بانتظارك يا ميسو!

قبل أن تذهب ميساء إلى الحمام، جلست على طرف السرير تحاول استيعاب ما
حدث ليلة أمس.

حدّقت في يديها المرتجفتين، لا تزال تشعر بأنهما تحملان أثر الخوف والبرد معًا.
كانت رائحة البحر ما تزال عالقة بثيابها، وصدى أمواجه يهمس في أذنها كأنه لم
يفارقها بعد.

صوت العجوز وضحكته، ثم همسات البحر، تتردد في رأسها بلا انقطاع.

حاولت أن تُقنع نفسها بأن كلّ ما حدث لم يكن سوى وهمٍ من الخوف...

لكن حين التفتت نحو النافذة، حُيّل إليها أن شيئًا يتحرّك خلف الزجاج.

تراجعت خطوة إلى الوراء، تنفّست بعمق، ثم تمت بصوتٍ خافتٍ وهي تهزّ
رأسها:

– كفى جنونًا يا ميساء... فقط استحمي، وانسي كل هذا الكابوس.

تجمّدت في مكانها، ذلك الصوت مألوف... كأنها سمعته من قبل، نفس النبرة التي
سمعتها عند البحر!

هل يعقل أن يكون البحر... قد تبعني حتى هنا؟!!

رفعت رأسها نحو المرأة، فتراجعت خطوة إلى الوراء مذعورة.

كانت هناك كلمات مكتوبة بالدم على الزجاج، بالإنجليزية:

"You will pay the price"

(ستدفعين الثمن).

شهقت، وتراجعت، ودموعها تتجمع في عينيها:

– من ... من أنت؟! ماذا تريد مني؟!!

فجأة انفتحت نافذة الحمام بعنف، واصطدمت بيدها، لتسيل منها الدماء.

اقتربت بخوف لتتنظر إلى الخارج، لكن ما إن وصلت حتى اختفى كل شيء...

الصوت، والهمس، وحتى أثر الدم على المرأة.

حاولت فتح الباب، لكنه لم يتحرك.

أمسكت بالمقبض بكل قوتها وهي تصرخ:

– افتحي الباب يا نور! الباب انغلق علي! افتحي يا نور، أرجوك!

لكن لا أحد أجاب...

كان الصمت يملأ المكان، سوى صوت الماء وهو يقطر ببطء... كأن البحر نفسه

يختبئ خلف الجدران.

في الصباح الباكر، تسلّلت أشعة الشمس من بين ستائر النافذة، بينما كانت حبات المطر تتساقط بخفّة،

وفي الأفق ظهر قوس قزح ملوّن بألوانٍ مشرقةٍ تزيّن السماء من بعيد.

لامست خيوط الضوء وجه ميساء الباهت، التي لم تدرك متى غفت، ولا ماذا حدث ليلة أمس.

كل ما تتذكّره هو صوت الماء وهو يقطر من الحنقية، وصوت أمواج البحر الصاعدة والنازلة في

رأسها كأنها لم تفارقها بعد.

جلست على كرسيها الخشبي، تمسك رأسها الذي يؤلمها، وكأنها كانت تغوص في حلم غريب ومرعب

سمعت صوت أختها نور تناديها من بعيد:

– ميسو! هل أنت هنا؟ افتحي الباب!

فتحت ميساء الباب وهي تبتسم بخفوت:

– تفضلي حبيبتي، صباح الخير. كيف حالك؟

ردّت نور بابتسامة قلقة:

– الحمد لله، لكن ماذا بك ليلة أمس؟ أخفتني! كنت تهلوسين وتصرخين وأنت

نائمة! هل أنت على ما يرام؟

قالت ميساء بنبرة متعبة وعيونٍ شاردة:

– أنا بخير، لا أتذكر شيئاً... ماذا كنت أقول؟

نور وهي تحاول التخفيف عنها:

– لا شيء مهم، انسي ما حدث، لقد مضى أمس

ثم تردّدت قليلاً قبل أن تضيف:

– أردت أن أخبرك أن هناك شخصاً اتصل بك ليلة أمس، قال لي: “أريد أن أتحدث مع ميساء”. اسمه أنور، هل تعرفينه؟

ارتبكت ميساء، ونظرت إلى أختها باستغراب:

– أنور؟ ما به أنور؟

نور بجديّة:

– أجيبيني، هل تعرفينه؟ كان مصرّاً أن أكلمه، وأصرّ أن أخبرك.

صمتت ميساء لثوانٍ، ثم قالت ببرودٍ غامض:

– لا تجيبي عليه مرة أخرى، وإن اتصل بك، لا تردّي.

وإن سأل عني، قولي له: “لا أعرفها ولا أملك رقمها”. فهمتِ؟

نظرت إليها نور بدهشة، لكن ميساء أنهت الحديث، وأغلقت باب غرفتها، أطفأت الأنوار، وخلدت للنوم.

بعد ساعتين، رنّ هاتفها برقمٍ غريب.

نظرت إليه للحظةٍ قصيرة، ثم تجاهلته وأغلقت، متابعَةً نومها.

بعد دقائق، دوى صوت صراخٍ من الخارج.

قفزت ميساء من سريرها، فتحت باب غرفتها بسرعة، وهرعت إلى غرفة نور.

كان عمّها زياد واقفاً في منتصف الصالة، وجهه غاضبٍ وصوته يعلو المكان.

صرخت ميساء بغضبٍ وهي تتقدّم نحوه:

– ماذا هناك؟ لماذا عدت مجدداً؟ ولماذا تصرخ بهذه الطريقة؟

تقدّمت نحوه خطوة أخرى وقالت بحدة:

– ليس لك مكان هنا بيننا! لست أبانا ولا شيئاً منّا!

حملت حقيبته ورمته خارج الباب، ثم تابعت بصوتٍ مرتجفٍ من شدة الغضب:

– اغرب عن وجهي وعن هذا البيت، ولا ترفع صوتك على أختي نور مرة أخرى، هل فهمت؟

ضحك زياد ضحكةً ساخرةً وهو يقول:

– هل جننتِ يا حمقاء؟ تطردينني من منزلي

صرخت ميساء بصرامةٍ غير معتادة:

– هذا ليس منزلك، ولن يكون أبدًا! اخرج من هنا قبل أن أفقد أعصابي!

تجمد لثوانٍ، ثم التقط حقيبته وهو ينظر إليهما بنظرةٍ حاقدةٍ وقال بصوتٍ خافتٍ مليءٍ بالتهديد:

– ستدفعين الثمن يا ميساء... لن أسامحك أبدًا.

أغلقت ميساء الباب خلفه بقوة، ثم احتضنت نور بقلبٍ خائفٍ لكنها حاولت أن تظهر الهدوء.

همست وهي تربّت على كتف أختها بحنان:

– لا تقلقي، لن يحدث شيء لنا. أنا معك... تنفّسي يا روعي.

لكن في أعماقها، كانت تشعر أن الهدوء الذي يخيم على المكان ليس سوى بداية لعاصفةٍ جديدة.

يرنّ هاتفها مرة أخرى، لكن هذه المرة يرنّ ومعه رسالة صوتية غريبة من نفس الرقم الغريب.

حملت ميساء الهاتف بيدٍ مترددة، وسمعت التسجيل الصوتي يقول:

"ميساء، أعلم أنك عرفتِ من أكون. من رقمي الغريب علمتِ من أنا.

ستجيبين هذه المرة على اتصالي ولن ترفضيه، وإلا سأأتي إليك... إلى منزلك قرب البحر.

هل فهمتِ؟ ليس لديك خيارٌ آخر يا حلوة. ستجيبين هذه المرة، وإن حاولتِ أن

تتذكري عليّ... ستندمين."

بعد سماع ما قاله، ارتعبت ميساء من شدة خوفها، قلبها يخفق بقوة، وشعرت أن شيئاً سيئاً سيحدث.

سقط الهاتف من يديها فجأة، وارتطم بالأرض، وبقي صداه يرنّ من بعيد كأنه تهديدٌ حيّ لها.

همست وهي تلتقط أنفاسها:

"هذا الصوت... المتصل يعرفني جيداً."

ما إن مرت ثوانٍ حتى رنّ الهاتف مرة أخرى من نفس الرقم.

أجابته دون تردد، وهي تتلعثم:

"من... من أنت؟"

فجاءها صوته هذه المرة بنبرة حنونة وهادئة:

"أهلاً جميلتي ميسو... كيف حالك؟"

. ألم تشتاقي لي؟"

تجمّدت ميساء في مكانها. غريبٌ أمره الآن... لماذا يتحدث هكذا؟

وكأنه ليس هو نفسه أنور الذي كان يهددني قبل لحظات!

لكن سرعان ما تغيّرت نبرته، وصاح بصوتٍ مرتفع:

"هل أنتِ هنا؟ أجيبيني!"

ألو؟ ما بك؟ تحدّثي!"

ردّت ميساء بتوترٍ واضح:

"نعم... أنا بخير."

أجابها بصوتٍ ناعم:

"أنا هنا، قرب منزلك، أمام البحر.

كم اشتقتُ إليك يا ميسو، حبيبتي.

ستأتين الآن، وسنلتقي ونتحدث في أمرٍ مهم. أنا بانتظارك."

تردّدت ميساء قليلاً ثم قالت بنبرةٍ متعبة:

"لا أستطيع الآن... أنا مرهقة، ربما لاحقاً، إن شاء الله."

لكن صوته تغيّر فجأة إلى غضبٍ حاد:

"لا أريد أعذاراً يا ميسو!

أنا أتيت من أجلك، والآن ترفضين لقائي؟

ستأتين الآن ولن نؤجله، وإلا..."

صرخت ميساء بعصبيةٍ وخوف:

"وإلا ماذا؟! هل تهددني؟"

أجاب بنبرةٍ هادئةٍ مرعبة:

"لا، أنا لا أهدّد صغيرتي.

فقط أقول: يجب أن تأتي الآن، ولا أريد أي اعتراض.

وإن لم تأتي، فسأتي أنا إلى منزلك... وأتعرّف على أختك الصغيرة نور."

شهقت ميساء بغضبٍ وخوف، وردّت بسرعة:

"لا تقترب من منزلي، هل فهمت؟!"

سأتي إليك، فقط لا تقترب!"

ارتدت سروالها الجينز الأزرق وسترتها الوردية، ومشطت شعرها بسرعة، ثم

خرجت من المنزل متوجهة نحو البحر.

كانت خطواتها سريعة، وقلبها يضرب بقوةٍ لا تعرف مصدرها.

هناك، عند الشاطئ، رأت أنور يقف بانتظارها.

التفت إليها وابتسم قائلاً:

"ميسو... حبيبتي، ألم تشتاقي لي؟"

اقترب منها واحتضنها بقوة مفاجئة.

لكنها دفعته بعيداً وصرخت في وجهه:

"ماذا تظن نفسك تفعل؟! لا تقترب مني مرة أخرى، هل فهمت؟"

ماذا تريد؟ تكلم بسرعة، لقد تركت أختي وحدها في المنزل!"

ابتسم أنور بخبث وقال:

"لا تخافي، لن يصيبها شيء.

أنت وأنا لم نكمل قصتنا بعد.

سنكملها معاً... أنا أحبك يا ميساء، ولا أريد فتاة غيرك.

بعد زواجنا، سنستقر سوياً ولن يفترق طريقنا أبداً."

صرخت ميساء بغضبٍ ودموعها تملأ عينيها:

"لا أريد! أنا لا أحبك ولن أتزوجك أبداً، هل فهمت؟!"

نظر إليها بحدة، ثم قبض على يدها بقوة مؤلمة وهو يصرخ:

"هل تمزحين معي؟ ستأتين معي الآن، ولا أريد أي اعتراض!"

حاولت ميساء أن تسحب يدها وهي تصرخ:

"اتركني! لن أذهب معك!"

لكنه جذبها نحوه بقوة أكبر، وصاح:

"ستأتين معي وتصمتين! لن أسمع صوتك بعد الآن، هل فهمت؟!"

في تلك اللحظة، حدث ما لم يكن في الحساب.

اضطرب البحر فجأة، وبدأ يهمس بصوتٍ غريبٍ وعميقٍ، كأنه تحذير من الأعماق:

"اتركها وشأنها... وإلا..."

تجمّد أنور مكانه، عيناه تتسعان من الرعب، والموج يعلو من حوله كأنه جدار من الماء.

حاول أن يجرّها بعيداً بسرعة، لكن فجأة ارتفع صوت البحر أكثر، واندفعت موجةً ضخمةً نحوه.

وفي لحظةٍ خاطفةٍ... اختفى أنور أمام عينيها..، ولم يترك وراءه سوى صدى صراخه يتلاشى مع هدير الموج.

تراجعت ميساء إلى الوراء بخطواتٍ مرتجفة، تضع يدها على فمها، لا تصدّق ما رأت.

همست بصوتٍ خافتٍ ومرتجفٍ:

"لكن... هل غرق أنور.."

هل تلاشى أنور في الأفق، أم أن شيئاً ما قد ابتلعه؟

" خلف كل باب جديد وكل وجه بدون ملامح لم يظهر بعد ، سر مخفي ينتظر
قبول صدى البحر " ..

كان البحر في صباح ذلك اليوم مضطرب، يشبه جسد نهشه التعب في ليلة ظالمة، لم يكن هادئاً كعادته، وإنما كان على غير طبيعته، كان شيء في أعماقه لم يستطع هضمه بقي يخرج منه على شكل قطع صغيرة قماش ملطخة بالدماء البشر، وأشياء تتعلق بالناس كمثل: أقراط، اسوارة، خاتم منقوش عليه على حرف: A ومزخرف بلون الأبيض والأسود.

حتى مياه البحر تحولت، ولم تعد شفافة، بل تحولت إلى لون داكن أسود يميل للرمادي، وخفت لمعانها المعتاد، أصبح لونها اسود قاتم كظلام دامس.

كانت الأمواج تصعد بسرعة، ثم تنزل ببطء وكأنها بها جسد إنسان وليس بحر، موجة تتصاعد تلو الأخرى، ثم تبطئ عند نزولها وتهدأ بصمت، وكأنه يكتم أنفاسه.

من بين الموج ارتفعت فوقها رغوة بيضاء اللون مع بعض من قطرات دم شخص ميت، وكأن المدى ينظف في جسده ويستخرج ما ابتلعه في جوفه، تشبه كالمغسالة التي تدور حول نفسها وتغسل الملابس وتنظفها من جديد وتطرد الأوساخ.

بين الحين والآخر كان يصدر صوتاً خافتاً أشبه بغرره شيء مختنق وكأنه يريد أن يطلب النجدة لكن يفشل ولا يستطيع النجاة.

حتى الرياح كانت هبوبها هادئة ليست كعادتها، وتحمل معها رائحة مقززة تشبه رائحة الأسماك الميتة مع رائحة الأموات.

لم يكن المدى يوماً لهذا الشكل ولم تشهده هكذا، كان واضحاً انه يخفي شيئاً ما لا يريد إظهاره.

لكن ما الشيء الذي يخفيه هذه المرة؟

نزلت ميساء، تخطو خطواتها نحو البحر رغم العاصفة التي قلبت الجو كله، الرياح تعصف شعرها وملابسها بقسوة وتطير بوشاحها في السماء وكأنها تود طردها من المكان..

كانت الأمواج تتلاطم بقوة فوق الصخور والطحالب.

حتى بعض من الأسماك الصغيرة كانت تطفو تحت الأمواج أصدمت في الصخور فجأة..

وقفت البطلة ميساء قربه تراقبها بعد ما كانت تطفو في المياه قد ماتت أمامها ورأسها اصطدم بالصخور فسالت منها الدماء، بقيت متجمدة وخائفة مما رأتها، من جهة أخرى تذكرت ماذا حدث في تلك الليلة الصامتة الذي أفزعت قلبها وجعلت قلبها ينزف وجعاً..

شعرت أن كل خطوة منها تقربها مما حدث معها يوم أمس، بقي محفوراً في ذاكرتها.

أغمضت عينيها لكي تنسى، وفجأة عاد شريط ذكري موته أمام عينيها وفي ذاكرتها أعادت لها مار أته وهو يصارع الموت ويطلب منها المساعدة وهي واقفة أمامه كتمثال لم تستطع إنقاذه..

صرخة أنور!!

يده الممدودة.....

نظراته الخائفة والمذعورة....

جسده وهو يسحب إلى الأعماق...

صورته وهو واقفاً أمامه يترجاها وذعره وخوفه ويده تسحب من الخلف بقيت عالقة في ذهنها..

لا لا،، لست أنا السبب؟

لا لم تمت!... أرجوك، لا أريد أن أتذكرك، أخذت تصيح وتصرخ بخوف.

فتحت عيناها، إذا بها ترى نفس الملامح..

نفس اللون، نفس الصوت.

سقطت على ركبتيها ميساء وهي تبكي بوجع لاتستطيع إخفائه.
وتصيح بنبرة حزينة ومؤلمة: لا لا، أنا لم اقتله، سامحني أنور لم أنقذك. لا تفعل بي.
سامحني يا الله..

ضربت على قلبها ورأسها وتمتمت بقول: اخرج من قلبي وعقلي، لا أريدك.
انفجرت عبراتها من جفون عيناها واحمرت عيناها دموعاً ووجعاً، فجأة شعرت بظل فتاة
تقف خلفها تحضنها من الخلف بحنان وطبطقة على قلبها المنزوف.
شعرت للحظة إنها بخير، وان هناك شخص فهم وجعها، حضنها لها مسح على قلبها من
أحزان وألا لام.

مسحت عبراتها من خديها وهمست لها همسة لطيفة على أذنها: أنا معك يا جميلة،
صحيح إني لا أعرفك ولا أعرف اسمك، لكن أنا بجانبك، ابكي واتركي نفسك لي.
لوهلة اطمأنت بعد سماع لكلامها، مسكت يدها بحب وابتسمت لها وقالت بنبرة حزينة:
شكراً لك أختي، حفظك الرحمن.

رددت الفتاة: أعرفك عن نفسي أنا لجين .

رددت ميساء: أشكرك على مواساتك لي. سررت بمعرفتك
أنا اسمي ميساء.

ردت لجين بنبرة تخفي شيء: وأنا أيضاً عزيزتي ميساء
هاتف ميساء يرن باسم غريب لمرّة ثانية:

أجابت عن الاتصال،

الو من معي؟

هل انت ميساء. صديقة أنور المتوفي؟

أجابت وهي تلهث وخائفة، وقلبها يخفق بقوة فور سماع اسمه

ردت بنبرة ألم: نعم أنا ميساء، لماذا تسأل؟

أجابها: أنا أخ أنور، ادعوك اليوم لحضور جنازته في القرية القديمة قرب المستشفى.

أجابت ميساء باستغراب: حسنا، أخي، عظم الله أجركم.

أقفلت هاتفه وجلست على الصخرة تفكر في الأمر، اقتربت منها لجين بحنان سألتها:
مايك؟

هل أنت بخير؟

من هذا أنور؟

هل توفي؟ سمعت انه قال لك يدعوك للحضور جنازته!.

لم تستطيع التحدث ميساء، كلماتها تتقطع ببطء عندما سمعت اسمه مرة ثانية.

ردت مبتسمة والدموع تسيل من عينيها: نعم توفي ليلة أمس، رحمه الله، لا يقربني،
ليس بي أي علاقة معه.

لماذا تسألين عنه؟ هل تعرفينه!

أجابت بنبرة حادة وتقوست حاجبيها: لا لا اعرفه، فقط سألتك مجرد فضول، إلى اللقاء
سأتركك ترتاحين، نلتقي غداً عزيزتي ميساء.

يتبع.....

بقيت ميساء تحدّق في الخاتم نفسه، وكأنها تمسك قطعة خرجت للتو من البحر، لا من غرفة مستشفى...

قالت بصوت مرتجف:

— هذا ليس خاتمًا عاديًا يا غيث، هذا خاتم مألوف لديّ، رأيته من قبل، لكن لا أتذكر أين رأيته.

نظر غيث إليها مستغربًا من كلامها، ثم جلس بقربها وقال بنبرة حزم:

— ميساء عزيزتي، ما حدث لك اليوم ليس بسبب جرح رأسك فقط، وإنما بسبب تدهور حالتك النفسية...

رفعت عينيها إليه منصدمة من قوله:

— ماذا تقصد يا عزيزي، حالتي النفسية؟!!

ما بها حالتي؟ أنا بخير.

تنهد زفرة تعب وقال:

— لا، لست بخير، لا داعي للتظاهر أمامي أنك بخير.

رأيتك اليوم بعيني في جنازة أنور، رأيت خوفك وحزنك عليه وارتجاف يديك.

صمتت للحظات...

ثم أخرج من جيبه بطاقة صغيرة ووضعها في يدها.

— هذا رقم طبيب مختص نفسي، أحمد، صديقي منذ الثانوية، أثق به. اذهبي إليه على الأقل مرة واحدة لتحسني من حالتك النفسية.

نظرت إليه نظرة غضب وقالت:

— أنا لست مجنونة.

رد بهدوء: لم أقل لك إنك مجنونة، لكن كل واحد منا يحتاج إلى طبيب نفسي يساعده لتتخلص من مخاوفنا ونعالجها. والعيب ليس في زيارة طبيب نفسي، العيب أن نبقى على حالنا دون اتخاذ خطوة لمعالجة ما يقهرنا.

أغلقـت أصابعها على البطاقة، وهزّت رأسها، وذهبت في طريقها دون أن ترد عليه.
في تلك الليلة لم تتم...
بقيت مستيقظة ومستلقية على سريرها...
كلما أغمضت عينيها وحاولت النوم، يعود صوته بقوة إلى ذهنها...
وتعود رائحة البحر والخاتم.

"جلسات نفسية مع الدكتور"

بعد مرور يومين...

وجدت نفسها ميساء واقفة أمام باب خشبي قديم، فوقه لوحة صغيرة مكتوب عليها:

عيادة الدكتور النفسي أحمد

تجمدت قدمها كالجليد قبل أن تخطو خطواتها نحو الباب...

كأنها على وشك أن تفتح بابًا مغلقًا لا تريد فتحه.

ومن الداخل جاء صوت هادئ يناديها:

— تفضلي عزيزتي ميساء، لا تخجلي، كنا بانتظارك.

مرّ يومان منذ خروجي من المستشفى، لكن شيئاً بداخلي بقي معي، أشبه بأسرٍ قيّد روعي وجسدي قبل قلبي، وجعلني لا أستطيع الحركة، ولا النطق عمّا حدث معي. كان نزيّف رأسي يلتئم ببطء، أمّا ما انكسر في روعي فبقي عالقاً... وللأبد. في صباح يوم الثلاثاء، ذهبت لزيارة عيادة المختص النفسي الذي أخبرني عنه صديقي غيث.

ترددت يدي قبل أن أطرق الباب...

شعرت وكأنني لا أطرق باب طبيب، وإنما باباً يخفي شيئاً لا أريد معرفته.

دفعت الباب بيدي، دخلت، وألقيت السلام عليه.

رأني الدكتور وقال:

— تفضلي يا ميساء... اجلسي.

استقبلتني رائحة البحر ممزوجة برائحة الورق القديم والأدوية...

نافذة نصف مفتوحة تطل على الوادي المقابل للجبل.

وساعة...

عقاربها تتحرك ببطء.

تك...

تك...

تك...

صوتها جعل قلبي يرتجف ألماً...

استحوذت على ذاكرتي ذكري كسرت قلبي.

كان صداها يصرخ من بعيد، وكأنها تنبهني من شيء، وتعيد لي تلك الذكرى المشؤومة.

ضاق تنفسي مرة أخرى...

وضعت يديّ على أذنيّ كي لا أسمعها.

لكن الصوت ظل يطرق رأسي وقلبي بعنف.

تك... تك... تك...

حتى صدر صوت من الداخل:

— ميساء... هل أنت بخير؟

رفعت نظري نحوه، فإذا به واقف أمامي يراقبني من بعيد.

لم أستطع تمالك نفسي...

واخترق ذلك الصوت أذني.

صرخت بألم:

— أوقفها... اجعلها تصمت!

نهض من مكانه...

وأوقف الساعة.

فصمت.

ثم سألني بهدوء:

— لماذا أنت تخافين من الوقت

سكت، وبقيت أحرق في السقف...

رمقتي بنظرة غريبة لم أفهمها، كأنه يحاول فتح بابٍ أغلقته داخلي.

سألني مرة أخرى بجديّة:

— لم تجيبيني... لماذا تخافين من صوت الساعة؟

هل يذكرك بشخص فقدته؟

عضضت شفتي.

وقلت بصوت خافت:

— لا شيء... فقط الوقت كان يعدّ... ويمضي بسرعة.

تقوس حاجباه.

— يعدّ ماذا؟

أخضت رأسي، وأشرت بيدي المرتجفة:

— أقصد... الأيام التي تمر بسرعة.

ساد الصمت بيننا.

فتح ملفه ببطء، ودون شيئاً لم أستطع رؤيته.

ثم أغلقه، ونظر إليّ قائلاً:

— انتهت جلستنا اليوم يا ميساء. أريد أن أراك يوم السبت... الساعة العاشرة صباحاً.

هناك شيء لم تقوليّه لي بعد.

تجمّدت.

سألته بصوت مرتبك:

— ماذا تقصد؟

قال بهدوء:

— لأن ملامحك تغيّرت عندما سمعت الساعة.

لم تخافي من الصوت...

خفت من الشخص الذي يوقظه داخلك.

ارتجفت يدي.

وشعرت كأنه رأى ما أخفيه.

أخذت حقيبتني بسرعة، وغادرت دون أن أودّعه.

لكن قبل أن أغلق الباب خلفي...

سمعتة يقول بصوت خافت:

— تذكرني... هروبك مما أوجعك لا ينقذك، بل يغرقك أكثر فأكثر، ويجرفك تحت الرمال الباردة.

توقفت لحظة...

ماذا يقول؟

ماذا يقصد بكلامه؟

لكنني لم ألتفت إليه.

بقيت واقفة بظهري نحوه، ثم فتحت الباب ..

قبل موعد جلستي الثانية بساعتين، جلست ميساء في مقهى صغير قرب العيادة، طلبت كوب قهوة نيسكافيه مع قطعة هلال croissant لم تمسّها بعد..

رفعت كوب قهوتها لارتشافها..

وقعت عيناها على ملامح شخص غريب يجلس بقربها..

كان يقرأ في جريدته...

تجمّدت نظرتها..

رمشت عيناها مرتين دون توقف..

لكن ما أدهشها أكثر أنه لديه:

نفس العيون السوداء..

نفس المعطف الأسود المزخرف بالريش الذي كان يرتديه..

لا، مستحيل...

أنور مات...!!

إذن من هذا الذي أمامي؟؟

حاولت أن تتمالك نفسها لكنها فشلت، ارتجفت يدها، قلبها ينبض بشدة..

في تلك اللحظة وهي تنظر إليه..

سقط كوب القهوة من يدها، انكسر الكأس وانسكبت القهوة على الأرض كالدم..

نهضت من مكانها بصعوبة، تركت المكان ووضعت فوق الطاولة المال، وهربت بسرعة.

لم تكن تهرب للطبيب بقدر ما كانت تريد الاختباء والهروب من تلك الفكرة التي بدأت تكبر في رأسها...

دفعت الباب بيدٍ مرتجفة..

دخلت العيادة بسرعة، وكأنها تهرب من طيف يلاحقها..

رفع الدكتور أحمد نظره إليها فور دخولها..

توقف للحظة وهو يراقب ملامحها، أنفاسها المتقطعة، وارتجاف يديها..

رآها تنظر إلى الخلف، وتضرب رأسها بيديها، وتهمس بصوت خافت:

— لا... أنت الآن في أمان..

سألها بدهشة:

— ميساء... هل أنت بخير؟

ماذا حدث لك؟

لم تجب.

بقيت تنظر إليه بصمت..

ثم جلست.

حدّق بها مرة أخرى، ثم قال بهدوء:

— رأيت شيئاً في الخارج قبل أن تأتي إليّ، صحيح؟
رفعت عينيها نحوه ببطء، لكنها لم تنطق بكلمة.
تنهد، ثم سحب ورقة بيضاء من درج مكتبه، ووضع قلمًا أمامها.
وقال بهدوء:

— اليوم لن نتحدث كثيرًا...

أريد منك فقط أن ترسمي وتعبري عما يقلقك.
الرسم سيساعدك.

نظرت إلى القلم والورقة وقالت:

— ماذا أرسّم؟

قال:

— ارسمي ما رأيته قبل قليل.

تجمّدت...

ترددت، ثم أمسكت القلم، وبدأت ترسم..

خطوط متقطعة..

أمواج مضطربة..

سماء سوداء..

توقفت للحظة، وضاق تنفسها وهي ترسم..

ثم تنفست ببطء، وأكملت..

نصف يد..

تخرج من الماء، ملطخة بالدماء..

انصدمت مما رسمته يداها..

نهضت من مكانها، وبدأت تدور في الغرفة وهي تصرخ:

— لا، لا... لم أفعل شيئاً...

لا أعرف لماذا رسمته..!

لم يرد عليها..

بقي يراقبها فقط، مركزاً على ما رسمته..

رفع عينيه إليها بهدوء:

— اجلسي يا ميساء... من فضلك.

ثم قال:

— ما رسمته اليوم هو ما يقلقك...

هو ما أتعبك، وجعلك تصرخين وتهلوسين... أليس كذلك؟

هذا ليس خيالاً، ولا إلهاماً...

بل شيء يعيش داخلك... وخرج على الورق.

ارتجف صوتها:

— لا... أنت مخطئ...

أنا لم أر شيئاً... مجرد رسمة من خيالي...

اقترب منها قليلاً، وأعطها الورقة، وأشار إلى اليد:

— إذن، إن كنت مخطئاً...

لماذا رسمت يداً تغرق؟

بقيت صامتة، تنظر إلى الورقة..

أخذتها من يده بسرعة، وقالت:

— هذه الرسمة... تذكرني بشيء...

هذه اليد ليست غريبة عني...

لا أعرف من أين رأيتها...

ولا أستطيع التذكر...

ثم أضافت ببرود:

— لكن لا يهم من هي.

مزقت الورقة إلى قطع صغيرة، وضحكت باستهزاء:

— مجرد رسمة عادية...

بعد انقطاع ثلاث سنوات... وها أنا أعود لأرسم شيئاً جديداً.

نظر إليها الطبيب بغضب:

— ليس هذا موضوعنا يا ميساء!

أنتِ تتهربين كعادتك...

لا تتهربي. واجهي ما يزعجك.

للحظة عم الصمت بينها..

لكن عيناها كانت تقول شيء آخر.

صمتٌ للحظة... لكن داخلي لم يصمت.

بدأت الصور تتدفق إلى ذهني بسرعة...

أمواج البحر المضطربة...

يده وهو يناجي...

صدي صوته...

تدفقت الذكريات ببطء... كقطرات ماءٍ تتساقط من صنوبر.

وضعتُ يدي على رأسي، غير متقبلة ما يحدث...

ضاق تنفسي...

— لا... لا أريد أن أتذكر...

اقترب مني بخطوات بطيئة، ووضع يده على كتفي ليهديني.

وقال بنبرة دافئة:

— اهديني يا ميساء... تنفسي... هيا، لنتنفس معًا...

نعم... أحسنت... خذي نفسًا عميقًا...

ثم أردف بهدوء:

— أنت لم تتخيلي... من هنا بدأت قصتك.

أنت عشت هذا الخوف ألف مرة... أليس كذلك؟

تحدثي... اصرخي... أخرجي ما بداخلك...

صرخت بغضب:

— قلت لك لا! أنت مخطئ!

أنا لست مجنونة!

— ومن أين تعرف قصتي؟!

أجاب بهدوء:

— لا أعرفها... لكن تصرفاتك تخبرني...

ردود أفعالك... ملامحك... تقول كل شيء.

تجمّدت.

بدأت أصابعي تطرق بعضها دون وعي.

— ميساء... هل أنت معي؟

هل تسمعيني؟

ماذا حدث لك في ذلك اليوم؟

تراجعتُ خطوة إلى الخلف...

وضعتُ يديّ على أذنيّ...

وصرختُ:

— لا! اصمتوا! أنا لم أفعل شيئاً!

كفى... لا أريد سماع شيء!

— مع من كنتِ تتحدثين؟

هل تسمعينني؟

نظرتُ إليه نظرة غريبة...

كأن ملامحي تغيّرت... وكأن شيئاً داخلي استيقظ.

همستُ وأنا أنظر إلى الكرسي بجانبني:

— أنا لست مجنونة...

ثم صرختُ فجأة:

— أنا لست مجنونة! أنا بخير! أنا إنسانة!

تراجع الدكتور قليلاً، مندهشاً مما رآه.

ثم نظرتُ إليه مجدداً وقلتُ بصوت متعب:

— لا... لم يحدث لي شيء...

أنا فقط... متعبة.

انهرتُ.

سقطتُ على الأرض وأنا أبكي...

قشعريرة اجتاحت جسدي...

وكان البرد يوسع جلدي...

— تعبت... يا الله...

قلبي يؤلمني...

ثم همستُ:

— صدقتي... أنا لم أفعل له شيئاً...

لماذا لا يصدقني أحد... حتى نفسي تخلت عني...

نزل إليّ، ومسح دموعي، وأعطاني كأس ماء.

مددتُ يدي المرتجفة وشربتُ ببطء...

ثم نهضتُ...

مسحتُ وجهي...

واعتذرتُ منه.

— شكرًا... لكنني لن أكمل العلاج.

أخذتُ حقيبتني...

وغادرتُ.

وحين فتحتُ الباب...

شعرتُ وكأنني أفتح بابًا آخر... لم أره من قبل.

شعرتُ... أخيرًا... أنني تحررت من تلك الأصوات

التي كانت تقيدني... كأساور.

لكن...

هل تنتهي القصة هنا؟

أم أن هناك بابًا آخر...

يحمل حكايات لم تُروَ بعد؟
يتبع...

"عودة ميساء إلى منزلها"

بعد مرور ثلاثة أيام على خروجي من العيادة...

خرجتُ بقلبٍ مثقلٍ...

وكأنني أحمل أثقالاً فوق ظهري...

لم أكن أركض هذه المرة كما في السابق،

بل كانت قدماي تجرّانني...

كأنني أزحف نحو منزلي.

ركبتُ سيارة الأجرة متجهةً إلى البيت...

فتحتُ النافذة لأستنشق بعض الهواء...

كم اشتقتُ للخارج... وللسماء...

لكنني شعرتُ فجأة أن الهواء ثقيل...

يخنق صدري...

شعرتُ بالغثيان...

لأول مرة أشعر أنني غريبة عن هذا المكان...

كأنني لستُ ابنة هذا البلد...

حتى أصوات الناس...

كنتُ أسمعها من بعيد...

كأنني منفصلة عنهم...

كأنني أسمعهم من تحت الأرض...

توقفتُ سيارة الأجرة فجأة...

— لماذا توقفت يا عمّي؟

— لأن البنزين انتهى... هل لديك المال لتدفعي؟
— لا... ليس معي مال الآن... لكن لديّ سلسلة يمكنك بيعها إن أردت...
صرخ بغضب:

— هل تمزحين معي؟!
ركبت سيارتي بدون مال؟!
وماذا أفعل بسلسلتك؟! أريد حقي نقدًا!
— أرجوك يا عمّي... أوصلني فقط، وسأعطيك في المرة القادمة...
— لا أريد سماع كلامك! انزلي فورًا!

نزل من السيارة...
فتح الباب بعنف...
وأمسكني من يدي... وأخرجني بالقوة...
سقطت على الأرض... ومعى حقيبتى...
صرخت فيه:

— ما هذه الوحشية؟!
إياك أن تلمسني هكذا!
أين إنسانيتك؟!
أل هذه الدرجة أصبح المال أهم من كل شيء؟!
فتحت حقيبتى...
ورميت أغراضي نحوه...
— خذ ما تريد!
خذ كل شيء!

هل المال يرضي غرورك الآن؟!

تركته ...

ومشيت ...

لا أعرف إلى أين ...

وجوه تمرّ أمامي ...

سيارات ... أطفال ... نساء ...

بعضهم يبتسم لي ...

يشيرون بيدهم ...

لكنني ... لم أشعر بشيء ...

كنتُ فقط أنظر ...

وأبتسم ابتسامة باهتة ...

كل ما كان عالقًا بداخلي ...

يضغط على قلبي ... بعنف ...

صوته ...

ما زال يلاحقني ...

كأنه كُتب عليّ ...

أن أعيش ...

وأموت ...

في نفس الوقت ...

مع صوته ... وصورته ...

وتلك اليد ...

التي ابتلعها البحر...

رفعتُ نظري إلى السماء...

أتأمل صفاءها... هدوءها...

مجرد النظر إليها يمنحك راحةً تسكن داخلك...

كأنك خلقت من جديد... كرضيع حديث الولادة...

كانت عكسي تمامًا...

داخلي مضطرب... فوضى عارمة...

وضجيج يكاد يفجر ما بداخلي كقنبلة...

بقيتُ أتأملها...

وأتمتم ببعض الدعوات...

كلمات خرجت مني دون أن أشعر...

وكان الله أنطق لساني... ليسمع صوتي...

— يا رب... فرج همي...

أخرجني من هذا الضيق...

وردني إليك ردًا جميلًا...

للحظة...

ارتاح قلبي...

وانزاح ذلك الثقل...

مرّت نسيمات خفيفة وباردة على وجهي...

لامستني بحنان...

كأنها تططب على قلبي المرهف...
شعرتُ بها...
كأجنحة ملائكية ترفرف حولي...
وتهدئ روعي...
وكان الله سمع دعائي...
وأراد أن يطمئنني...
أنه معي...
وأنه سيخرجني من هذا الضيق...
أكملتُ طريقي...
متجهةً نحو منزلي...

دخلتُ إلى الحمام محاولةً الهروب من نفسي، ومن أفكارِ التي غزت ذهني.
كانت المياه الدافئة تتساقط بهدوء على جسدي، بينما يتصاعد البخار فوقِي، فيتشكل
ضبابٌ خفيف على مرآة الزجاج.

بدا كل شيء ساكنًا وهادئًا من الخارج، لكن داخلي كان شيئًا مختلفًا يصرخ ببطء.
بدأت أصوات وهمسات بعيدة تتسلل إلى أذني، وتهمس لي كصدي غريب:

— ميساء... ميساء... حبيبتي...

عاد صدي اسمه يئن داخل رأسي مجددًا.

اقتربتُ من المرآة، أهدق في انعكاس صورتي بصمتٍ، وكأني أحاول أن أفهم ما الذي
أصابني.

ثم بدأت أتحدث مع نفسي، أنطق كلماتٍ عشوائية ومختلطة وغير مفهومة...
كأني لم أعد أعرف كيف أسيطر على نفسي، ولا على أفكارِي.

وفي لحظةٍ ما، سمعتُ صوتًا يصدر من خلفي يهمس لي باستهزاء:

— أنتِ من قتلته...

يا مجرمة، ستدفعين الثمن غالبًا على ما فعلته.

صرختُ بخوف:

— لا... لا، لم أفعل شيئًا، لستُ أنا، صدقتي!

ثم نظرتُ إلى انعكاسي بنظرةٍ مرعبة، وبدأت أردد بصوتٍ مرتجف:

— اصمتي... اصمتي...

لم أستطع تحمّل ما سمعته، ولا حتى النظر إلى نفسي...

فدفعتها بيدي بعنف محاولةً إسكات ذلك الصوت.

انكسر الزجاج إلى قطع صغيرة، ونزفت يدي دمًا.

خرجت من الحمام وأنا أرتجف، بينما اختلطت دموعي بدم يدي وملامي المرهقة.
كانت خطواتي متعثرة، أجزّ قدمي بصعوبة، وكأني أبحث عن مكانٍ أغرق فيه لأهرب من كل ما يحدث داخلي.

وقبل أن أخرج، رأيت نور تقف أمام الباب بذهول وخوف.

أمسكت بيدي المجروحة وهي تسألني بقلق عما حدث لي.

لكنني تراجعتهُ إلى الخلف، وكأني لم أعد أحتمل اقتراب أحدٍ مني.

دفعتها بعيدًا، ثم اندفعت خارج المنزل دون وعي.

بخطواتٍ سريعة، اتجهتُ نحو البحر...

أوقفتني سارة بنبرة اندهاش:

— ماذا تفعلين؟

إلى أين تذهبين بثياب النوم؟

هل جننت؟

انفعلتُ في وجهها بغضبٍ شديد، وصرخت:

— ما شأنك بي؟

وما دخلك في ثيابي؟

لا تتدخل في ما لا يعينك!

ثم ارتميتُ داخل البحر، وغصتُ تحت المياه الباردة...

ورغم شدة برودتها، لم أشعر بشيء.

بقيت نور تراقبني من بعيد بخوف، بينما كانت تلعب بالرمال والأحجار الصغيرة، وتكتب

اسمي واسمها فوق الرمل.

خرجتُ من البحر ألّهت بصعوبة، وكانت قطرات المياه الباردة تنساب من ثيابي المبللة.
رفعتُ عيني نحو المكان الذي كانت تجلس فيه نور...

لكنني لم أجدّها.

تجمّدتُ للحظة...

وبدأت تلك الأفكار السلبية تطرق رأسي بعنف.

— لا... لا، مستحيل، لن يحدث هذا أبداً...

ظننتُ أنّها عادت إلى المنزل.

بدأت أصرخ باسمها:

— نور! هل أنتِ هنا؟

لكن لم يجبني أحد...

اقتربتُ أكثر من المكان الذي كانت تجلس فيه، حتى وقعت عيناى على شيءٍ لامع
كجوهرة تحت ضوء الشمس.

كانت أسوارة نور...

مكسورة إلى أجزاء صغيرة، وملقاة فوق الرمال.

شعرتُ بنبضات قلبي تتسارع...

وضاق صدري فجأة.

ماذا؟

أسوارة نور؟

لماذا انكسرت؟!!

— نور؟!!

أين أنت؟ أجيبيني!

نور تشعر بقشعريرة تسري في جسدها ببطء، ارتباكها يجعل قلبها يصرخ بصمتٍ .
تتذكر ما أصابها، فيرتجف جسدها، وأاملها ترتعش كغصنٍ يابس في مهبّ الريح.
كل صوتٍ حولها — همسة، نباح كلبٍ بعيد، خشخشة الأوراق — يبدو كتهديدٍ يقترب
منها شيئاً فشيئاً، يربكها ويزرع الخوف في عروقتها.
تتسارع خطواتها، والأرض من تحتها تهتزّ كزلزالٍ خفيف، غير مستقرة، كأنها تريد أن
تبتلعها ببطء.

كل حجرٍ تمرّ عليه يصرخ في وجهها، يطردها من المكان، يذكرها بما فعلت...
لكن ما رأته، وما سمعته، كان أقوى من احتمالها، فاندفعت تركض بكل قوتها، لا ترى
شيئاً سوى الهروب.
وفجأة، لم تلمح الحفرة أمامها — سقطت.

ارتطم جسدها بالأرض بقسوة، اختلط الدم بالتراب، والم الألم بساقها وجرح يديها.
انحنّت على ظهرها تتنفس بصعوبة، ثم رفعت يدها المرتجفة نحو السماء وقالت بصوتٍ
متقطع:

"يا الله... ساعدني..."

في مكانٍ آخر، كانت ميساء غارقة في تفكيرها، وصراعاتها الداخلية تنهشها ببطء.
أخذت تحادث أطراف عقلها، وتحاول تذكر ما حدث ليلة أمس، لكنها لم تستطع التذكر.
سمعت طرقاتٍ خفيفة على الباب، فرأت ظلّ سارة من خلفه.

سألتهما لجين :

— هل يمكنني الدخول؟

أجابته ميساء بنبرة متعبة:

— تفضلي عزيزتي، نعم يمكنكِ الدخول.

جلست لجين بجانب ميساء، وهي تحدّق في ملامح وجهها.

قالت لها وهي تضحك:

— لماذا تبدو ملامحك متغيرة؟ وكأنك أصبحت عجوزًا مُسنّة قبل أوامك.

هل أنت بخير؟

أجابت ميساء:

— أنا بخير... نعم، متعبة قليلًا.

لماذا؟ ما بها ملامحي؟

أردفت لجين بابتسامة:

— أنا أمزح فقط، لم أقصد أن أجرحك، لكن ملامحك تغيرت كثيرًا.

سكبت الماء في الكأس، ثم أعطتها لميساء مع حبة دواء.

— خذيها عزيزتي، هذا منوّم سيساعدك على النوم والراحة.

ما دمت متعبة، خذيها ولا تخافي، ستريحك.

لم تجبها ميساء، بل بقيت تحدّق في السقف وجدران غرفتها بصمت.

قالت سارة:

— ما بك منذ ليلة أمس؟ لقد أخفنتني عليك.

هل حدث لك شيء؟

عندما رأيته تصرخين البارحة قلقت عليك كثيرًا.

أجابت ميساء بذهول:

— ماذا فعلت أنا؟

أنا لم أصرخ عليك يا عزيزتي، ولم أفعل شيئًا.

قاطع حديثهما صوت العجوز، وهو يصرخ باسم ميساء:

— ميساء ابنتي... —

افتحي النافذة، أريد أن أخبرك بشيءٍ مهم... —

اقتربت ميساء من النافذة بتردد، بينما كانت كلمات العجوز الأخيرة تتدفق داخل ذهنها.

دفعت النافذة ببطء، فرأته واقفاً أمام منزلها، ممسكاً بعصاه المغروسة تحت الرمال.

كان يحدق فيها بعينين أربكتا قلبها.

أردف قائلاً:

— انزلي يا ميساء... لا أستطيع إخبارك من بعيد.

خرجت ميساء من المنزل، ووقفت أمامه تنتظر أن يتحدث.

سألها بنبرة غامضة:

— هل تعلمين أن البحر لا يعيد من يأخذه؟

وإن أعاد بعض الجثث... فذلك لأنه لم يعد يريد لها.

أردفت ميساء بقلق:

— من هو؟

وما هذه الجثث التي تتحدث عنها؟

كعادتك... تتحدث بالأغاز ثم تصمت.

ابتسم العجوز ابتسامة خفيفة تخفي شيئاً ما، ثم قال:

— ألم تري ما حدث ليلة أمس؟

رأيتُ جثة شاب في العشرينات من عمره... من نفس عمرك تقريباً.

استفرغه البحر إلى الشاطئ.

صمت للحظة، ثم أكمل:

— كان مسكيناً... مات غرقاً، مثل والدك.

انتفضت ميساء بغضب:

— ماذا تقول؟!!

هل جنت؟

أبي لم يمت غرقاً، هل فهمت؟!!

لن أعيد كلامي مرة أخرى!

ما دخل موت أبي بذلك الشاب؟

قال العجوز بهدوء:

— حسناً... اهدئي، لم أقل شيئاً.

ثم حدّق في وجهها طويلاً قبل أن يردف:

— لكن ملامحك تغيرت كثيراً...

وجهك شاحب، ويداك ترتجفان.

ما بك يا ابنتي؟

لم تكوني هكذا من قبل...

هل أنت مريضة؟

حاول الاقتراب منها ووضع يده فوق رأسها ليتفقد حرارتها، لكنها ابتعدت عنه بسرعة.

— ماذا تفعل؟

ابق بعيد عني!

تنهد العجوز قائلاً:

— حسناً يا عزيزتي... انتبهي لنفسك فقط.

ودعته ثم عادت إلى منزلها.

دخلت غرفتها بخطواتٍ ثقيلة، ثم ارتمت فوق السرير، شاعرةً بأن جسدها أصبح أثقل من قدرتها على احتماله.

أخذت تحدّق في السقف بصمت، بينما كانت كلمات العجوز تدور داخل رأسها بلا توقف.

— ماذا كان يقصد؟

هل كان يقصده هو؟

هزّت رأسها بسرعة:

— لا... مستحيل.

لقد مات منذ شهر، ودُفن تحت التراب...

فما علاقته بالبحر؟

يتبع...

بقيت ميساء تحدّق طويلاً في جدران غرفتها، حتى غلبها النعاس.
أثقلت عيناها المرهقتان، فاستسلمت للنوم بصمت.
وفي وسط ذلك الظلام والهدوء الذي ملأ غرفتها...
اد ذلك الصوت مجدداً يهمس لها:

— ميساء... —

— لماذا تركتني؟ —

ارتجف جسدها فجأة وهي تسمع تلك الهمسات تعود من جديد.
هزت رأسها برفض، وهي تردد بخوف:

— لا... ابتعد عني، أرجوك... —

استيقظت من نومها مفزوعة، تلهث بخوف وكأنها كانت تغرق في البحر فعلاً.
بقيت تنظر حولها بارتباك...

حتى وقعت عيناها على المقص الموضوع فوق مكتبها.
نهضت من سريرها ببطء، وكان شيئاً خفياً يقودها نحوه.
أمسكت خصلة من شعرها، ثم قصتها دون وعي منها...
تلتها أخرى... ثم أخرى...

كانت خصلات شعرها تتساقط فوق الأرض، بينما بقيت تحدّق في الفراغ بعينين شاردتين،
وكانها لم تعد تعرف نفسها... ولا ما الذي تفعله.

كان البحر مضطرباً على غير عادته، أمواجه تتصاعد بعنف وتضرب الصخور بقوة، بينما كانت الرياح تعصف بالرمال والأشجار.

وقف العجوز قرب البحر ممسكاً بعصاه، يراقب الأفق بصمتٍ أربك الناس من حوله.

ثم صاح بصوتٍ عالٍ:

— ابتعدوا من هنا!

لا أحد يقترب من البحر... إنه هائج اليوم.

سمعته لجين، فاقتربت منه بقلق وهي تعقد ذراعيها:

— لماذا تخيف الناس هكذا؟

رفع العجوز حاجبيه، ثم قال بحدة:

— وما شأنك أنت؟

هل تسكنين هنا؟

لأول مرة أراك قرب هذا البحر.

أجابت بتردد:

— أنا صديقة ميساء...

اسمي لجين.

بقي صامتاً يحدّق في ملامحها طويلاً، ثم قال:

— لا أعرفك...

و ميساء لم تخبرني عنك من قبل.

ثم أردف بنبرة غامضة:

— وكما حذرتك... ابقي بعيدة عن البحر.

كانت الأمواج تضرب الشاطئ بعنف، بينما كان غيث وميساء يقفان قرب البحر يعبثان الأحجار بصمت.

وفجأة...

دوى صوت ارتطام قوي من بعيد.

رفع غيث رأسه بسرعة:

— هل سمعت هذا؟

نظرت إليه ميساء باستغراب:

— لا... ماذا هناك؟

نهض بسرعة وهو يلتفت نحوها:

— ابق هنا، لا تتحركي... سأعود حالاً.

ركض باتجاه الصوت، بينما بدأت صرخات الناس تملأ شيئاً فشيئاً.

كانت سيارة سوداء تنزلق قرب حافة البحر، قبل أن تسقط وسط المياه الهائجة.

تجمد غيث للحظة من هول ما رآه...

ثم اندفع نحوها دون تفكير.

اندفع غيث نحو البحر دون تفكير بنفسه، بينما كانت الأمواج قد سحبت السيارة إلى الداخل أكثر فأكثر.

ارتدى سترة الحماية بسرعة، ثم غاص في المياه الباردة محاولاً الوصول إليها. حاول فتح الباب بصعوبة وهو يلهث تحت الماء.

أنقذوا أولاً الرجل المسن، فسحبه إلى الخارج وسلمه لصديقه سليم، ثم عاد لينقذ الفتاة الصغيرة التي كانت لا تزال تحتضن دميتها بقوة.

خرجا من البحر وهما يحملانها فوق ظهريهما، ثم وضعوهما فوق الرمال بسرعة. وصلت سيارات الإسعاف، بينما تجمع الناس حول المكان بصدمة، وأغلقوا الطريق وسط الفوضى.

حاول غيث إخراج الماء من رئتيهما، وبينما كان ينقذ الفتاة الصغيرة... وقعت عيناه على ذلك السوار الصغير حول معصمها.

تسارعت نبضات قلبه بعنف...

شعر وكأنه يعرفه.

— لا... مستحيل...

اقترب منها أكثر، ثم اتسعت عيناه بصدمة:

— نور...؟!!

وفي تلك اللحظة، وصلت ميساء وسط الفوضى، تشق طريقها بين الناس والزحام المرتبك.

وقعت عينها على الطفلة الممددة فوق الرمال فاقدة للوعي.

ثم سألت غيث بصوت مرتجف:

— من هذه؟

هل تعرفها؟

رفع غيث نظره إليها مذهولاً:

— أليست هذه أختك نور؟

بقيت تحدق فيها بصمت، بينما كانت أصابعها ترتجف بعنف.

ثم هزت رأسها بخوف:

— لا... ليست أختي.

اقترب غيث منها وهو يصرخ:

— انظري جيداً!

لا تجنّيني... هذه نور!

تراجعت للخلف وأغلقت أذنيها وهي تصرخ:

— لا! قلت لك ليست نور!

أختي في المنزل... إنها نائمة...

بدأت أصوات الأمواج تدور داخل رأسها بعنف، وكأن البحر كله يصرخ في عقلها.

شعرت بالدوار، وبدأت صورة غيث تتلاشى أمام عينيها تدريجياً حتى أصبحت ضبابية.

ثم فقد جسدها توازنه...

وسقطت أرضاً، ليرتطم رأسها بالحجارة بقوة.

بقي صوت البحر وحده يعلو وسط الفوضى...

بينما كانت الأمواج تضرب الشاطئ ببطء، وكأنها تخفي أسرارها من جديد.

النهاية...

تمت..

الخاتمة :

بعض الأصوات لا تختفي مهما حاولنا إسكاتها...
تبقى عالقة داخلنا، ويبقى صداها يئن من بعيد...
مثل البحر، تعود مع كل موجة جديدة، بسرٍ لم نعرفه بعد.
فما ظننتم أنه النهاية...
كان مجرد بداية لفتح بابٍ لم يُفتح من قبل.

بقلم كدومة إناس